بِـرُّ الْـوَالِـدَيْنِ

﴿وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًاۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾ [هود: ٢٩]

جَمْع وترتيب

سيد رجب جيوشي

ماجستير أصول الدين

راجعه

الشيخ/ سيد بن عباس الجليمي

دار السنة الصحيحة

الطبعة الأولى

دار السنة الصحيحة
لنشر علوم الكتاب وصحيح السنة

١٤٣٤هـ= ٢٠١٣م

رقم الإيداع: ١١٠٦٤/ ٢٠١٣م

* هذا الكتاب *

«اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ».

من أراد أن يطبعه فليطبعه دون إذن مني وليتق الله فيه

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

إنّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله(١).

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ

---

(١) وتسمى هذه خطبة الحاجة، وقد علمنا النبى ﷺ أن نفتتح بها حاجاتنا، كما فى الحديث الصحيح الذى أخرجه أحمد (١/ ٣٩٢) ، وأبو داود [٢١١٨] ، والترمذى [١١٠٥] ، والنسائى [١٤٠٤، ٣٢٧٧] وغيرهم من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠ ، ٧١].

أما بعدُ :

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة فى النار وبعد.

قال الله عز وجل فى كتابه الكريم: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴾ [سورة الإسراء: ٢٣، ٢٤].

فإن بر الوالدين والإحسان إليهما أمر معلوم من الدين بالضرورة، لا يحتاج إلى تدريس المدرسين أو تعليم المعلمين، ولكن الإنسان من طبيعته الغفلة والنسيان، والقلب تمرّ عليه سحب الذهول، فتحجب عنه أنوار الطاعة والإيمان، وما علينا إلا أن أذكِّر نفسي وإياكم بأحق الناس بالإحسان إليهما، ألا وهما الوالدان.

أولًا بالأم، تلكم المرأة الضعيفة التي لا تقوى على حماية نفسها من المكاره، تجدها أقوى الناس في مدة حملك، فهل تراها تلتذّ بذلك؟! لا والله، بل حملتك كرهًا ووضعتك كرهًا، حملتك وهنًا على وهن، ضعفًا على ضعف، ضعف الحمل وضعف الطلق وضعف الوضع، وبعد ذلك تحمل أعباء تنوء بحملها الجبال، ولا يصبر عليها أقوى الرجال، تود لو تفديك بنفسها عوضًا من أن تسمعك تتأوّه، وتبقى كذلك لا تبالي إلا بحالك، حتى تراك راضيا سعيدا، فهل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟!

قف يا عبد الله، وتأمل معي عظم قدر الأم وجميل إحسانها إليك:

حملتك في أحشائها تسعة أشهر، ذاقت فيها المر، وتغيرت عليها دنياها، فما المذاق هو المذاق، ولا المعاشرة هي المعاشرة! فكم من أَنَّةٍ خالجتها، وزفرة دافعتها من ثقلك بين جنبيها، لا يزداد جسمك نموًّا إلا وتزداد معه ضعفًا!!

تُسَرُّ إذا أحسَّت بِحركتك داخل جوفها، ولا يزيدها تعاقب الأيام وكرُّ الليالي إلا شوقًا لرؤيتك واشتياقًا لطلَّتك!

ثم تأتي ساعة خروجك؛ فتعاني ما تعاني من خروجك!!

فلا تَسَلْ عن طَلْقِها الذي يَعتصِر له الفؤاد، وآلامها التي تُعجزها عن البكاء!

حتى إذا ما خرجت من أحشائِها، وشمَّت عبق رائحتك، نسيت آلامها، وتناستْ أوجاعها، وعلقت فيك جميع آمالها، فكنت أنت المخدوم في ليلها ونهارها، كنت أنت رهين قلبها، ونديم فكرها، تغذيك بصحتها، وتدثرك بحنانها، وتُميط عنك الأذى بيمينها، تخاف عليك من اللمسة، وتشفق عليك من الهمسة.

إذا صرخت فزَّ قلبها إليك، وإذا جعت تلهفت من أجل سد جوعتك، سرورها أن ترى ابتسامتك، راحتها أن تضمك إلى صدرها، إذا مسَّك ضرٌّ لم يرقأ لها دمع، ولم تكتحل بنوم، تفديك بروحها وعافيتها!!(١).

الأم: لا توفيها الكلمات، ولا ترفعها العبارات، وإنما محلها سويداء القلب، وكفى به مستقرًّا. وكما قال الشاعر:

---

(١) نقل من دائرة معارف الأسرة المسلمة، جمع على بن نايف الشحود ص١٠٤.

لأُمِّكَ حَقٌّ لَوْ عَلِمْتَ كَثِيرُ   كَثِيرُكَ يَا هَذَا لَدَيْهِ يَسِيرُ
فَكَمْ لَيْلَةٍ بَاتَتْ بِثِقْلِك تَشْتَكِي   لَهَا مِنْ جَوَاهَا أَنَّةٌ وَزَفِيرُ
وَفِي الْوَضْعِ لَوْ تَدْرِي عَلَيْهَا مَشَقَّةٌ   فَمِنْ غُصَصٍ مِنْهَا الْفُؤَادُ يَطِيرُ
وَكَمْ غَسَلَتْ عَنْك الْأَذَى بِيَمِينِهَا   وَمَا حِجْرُهَا إلَّا لَدَيْك سَرِيرُ
وَتَفْدِيك مِمَّا تَشْتَكِيهِ بِنَفْسِهَا   وَمِنْ ثَدْيِهَا شُرْبٌ لَدَيْك نَمِيرُ
وَكَمْ مَرَّةٍ جَاعَتْ وَأَعْطَتْك قُوتَهَا   حُنُوًّا وَإِشْفَاقًا وَأَنْتَ صَغِيرُ
فَآهًا لِذِي عَقْلٍ وَيَتْبَعُ الْهَوَى   وَآهًا لِأَعْمَى الْقَلْبِ وَهُوْ بَصِيرُ
فَدُونَك فَارْغَبْ فِي عَمِيمِ دُعَائِهَا   فَأَنْتَ لِمَا تَدْعُو إلَيْهِ فَقِيرُ(١)

نعم يا أخي الكريم، ويا أختي الكريمة، عليكم بالتماس دعائها، فإن دعوتها ليس بينها وبين الله حجاب.

فكم ليلة سهرتها من أجل راحتك، وكم دمعات رقرقتها من أجل صحتك، ولسان حالها يقول:

فَنَمْ وَلَدِي بِمَهْدِكَ فِي هَنَاءٍ   وَدَاعِبْ طَيْفَ أَحْلامِ الرُّقَادِ
وَإِنْ حَلَّ الظَّلامُ بِجَانِحَيْهِ   وَأَرْخَى ظِلَّهُ فِي كُلِّ وَادِ

(١) انظر: الزواجر عن اقتراف الكبائر للهيتمى (٢/ ٤٠١).

وَنَـامَ الْخَلْـقُ فِـي أَمْـنٍ جَمِيعًـا   فَقَلْبِــي سَــاهِرٌ عِنْـدَ الْمِهَــادِ

ويا ليت عناءها ينتهي عند هذا؛ بل ما تزيدها الأيام إلا لك حبًّا، وعليك حرصًا؛ فما إن يتم فصالك عامين، وتبدأ خطواتك الصغيرة بالثبات، إلا وترمقك بنظراتها، وتحيطك بعنايتها.

أوامرك مطاعة، وطلباتك مُجابة، تغتمُّ لحزنك، وتضيق لغضبك، تشقى لك أنت، تتعب حتى تهنأ أنت.

فكم من دموع عنك أزالتها، وهموم عن صدرك أزاحتها، حتى إذا صلب عودك، وزهر شبابك - كنت أنت عنوان فخرها، ورمز مباهاتها، تسر بسماع أخبارك، وتسعد برؤية آثارك، إذا غبت عن عينها رافقتك دعواتها، فكم من دعوات لك تلجلجت وأنت لا تدري! وكم من ابتهالات سالَتْ معها الدموع على المآقي من أجلك وأنت لا تشعر! مناها أن يرفرف السرور في سمائك، غايتها أن توفَّق في حياتك وبناء أسرتك.

تعطيك كل شيء ولا تطلب منك أجرًا، وتبذل لك كل وسعها ولا تنتظر منك شكرًا! أحسنت إليك إحسانًا لا تَراه، وقدَّمت إليك معروفًا لن تُجازاه.

البر بالأم – عباد الله – مفخرة الرجال وشيمة الشرفاء، وقبل ذلك كله: هو خُلُقٌ من خُلُق الأنبياء؛ قال تعالى عن يحيى – عليه السلام –: ﴿ وَبَرًّا بِوَٰلِدَيۡهِ وَلَمۡ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴾ [مريم: ١٤].

وقال عيسى– عليه الصلاة والسلام –: ﴿وَبَرًّا بِوَٰلِدَتِي وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴾ [مريم: ٣٢].

البرُّ بالأم برهانٌ على صدق الإيمان وحسن الإسلام، وعملٌ بالتقوى.

البرُّ بالأم يتأكَّد يوم يتأكد إذا ا نقضَى شبابها، وعلا مشيبها، ورقَّ عظمها، وأحدودب ظهرها، وارتعشت أطرافها، وزارتها أسقامها، في هذه الحال من العمر لا تنتظر صاحبة المعروف والجميل من ولدها إلا قلبًا رحيمًا، ولسانًا رقيقًا، ويدًا حانيةً.

فطوبى لمَنْ أحسن إلى أمِّه في كبرها، طوبى لمن شمَّر عن ساعد الجدِّ في رضاها؛ فلم تخرج من الدنيا إلا وهي عنه راضية مرضية.

* **يأيها البارُّ بأمه،** وكلنا نطمع أن نكون ذاك:

تمثَّل قول المولى– جل جلاله–: ﴿ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ

مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ﴾ [الإسراء: ٢٤].

تخلَّق بالذل بين يديها بقولك وفعلك، لا تَدْعُها باسمها؛ بل نادها بلفظ الأم؛ فهو أحبُّ إلى قلبها، لا تجلس قبلها، ولا تمشِ أمامها، قابلها بوجه طلق وابتسامة وبشاشة، تشرَّف بخدمتها، وتحسس حاجاتها، إن طلبت فبادر أمرها، وإن سقمت فقُمْ عند رأسها، أَبْهِجْ خاطرها بكثرة الدعاء لها، لا تفتأ أن تدخل السرور على قلبها؛ قدم لها الهدية، وزفَّ إليها البشائر، واستشعر وأنت تقبل وتعطف على أبنائك عطف أمك وحنانها بك، وردِّد في صبحٍ ومساءٍ: ﴿ رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ﴾ [الإسراء: ٢٤].

*** أيها البارُّ بأمه:**

إن كانت غاليتك ممن قضَتْ نَحْبَها، ومضت إلى ربها؛ فأكثر من الدعاء والاستغفار لها، وجدِّد برَّك بها بكثرة الصدقة عنها، وصلة أقاربك من جهتها.

جاء رجلٌ إلى النَّبيّ ﷺ فقال: يا رسول الله، هل بقي من برِّ أبويَّ شيءٌ أَبَرُّهُمَا بِهِ بَعْدَ مَوْتِهِمَا؟ قَالَ: «**نَعَمْ الصَّلَاةُ عَلَيْهِمَا، وَالِاسْتِغْفَارُ لَهُمَا، وَإِنْفَاذُ عَهْدِهِمَا مِنْ بَعْدِهِمَا، وَصِلَةُ الرَّحِمِ الَّتِي لَا**

تُوصَلُ إِلَّا بِهِمَا، وَإِكْرَامُ صَدِيقِهِمَا»(١). وليعلم البار بالوالدين أنه مهما بالغ في برهما لم يف بشكرهما.

أما الأب ، فذلكم الرجل الذي لو وضع السيف بعنقه على أن تصاب أنت بأذى لما تردد في أن يفديك بنفسه، ذلكم الرجل الذي لا يفرّط في رجولته، تراه يقبل الذل أحيانًا وأحيانًا في عمله، ليجلب لك قوت يومك، ويدخل عليك وأنت صغير فيسر عند رؤيتك وكأنه ما ذاق تعبًا وما لاقى ألمًا، ولا يزال يسعى ويكدّ ويلقى كل متاعب الدنيا لأجلك، حتى تصير رجلًا مستويًا على سوقه، فهل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟!

فلا تضجر إن نصحك، فهو لا يريد لك إلا الكمال، ولا تتهمه بالغباء والجهل وقصور النظر فهو أدرى بمصلحتك منك مهما أوتيت علمًا وخبرة، وإياك إياك من أن ترفع صوتك بحضرته أو تتردد في طاعته، وللأسف كل هذا الإحسان ينساه الأولاد في لحظة.

وصدق من قال:

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه من ٤/ ٣٣٦، وضعفه الألباني.

غَـذَوْتُك مَوْلُـودًا وَمُنْتُـك يَافِعًـا تُعَـلُّ بِمَـا أَجْنِـي عَلَيْـك وَتَنْهَـلُ

إِذَا لَيْلَةٌ ضَافَتْك بِالسُّقْمِ لَمْ أَبِتْ لِـسُقْمِكَ إِلَّا سَـاهِرًا أَتَمَلْمَـلُ

كَأَنِّي أَنَا الْمَطْرُوقُ دُونَك بِالَّذِي طُرِقْت بِهِ دُونِي فَعَيْنِي تَهْمِلُ

تَخَافُ الرَّدَى نَفْسِي عَلَيْك وَإِنَّهَا لَتَعْلَمُ أَنَّ الْمَوْتَ وَقْتٌ مُؤَجَّلُ

فَلَمَّا بَلَغْت السِّنَّ وَالْغَايَةَ الَّتِي إِلَيْهَا مَدَى مَا كُنْت فِيك أُؤَمِّلُ

جَعَلْت جَزَائِي غِلْظَةً وَفَظَاظَةً كَأَنَّك أَنْتَ الْمُنْعِمُ الْمُتَفَضِّلُ

فَلَيْتَك إِذْ لَمْ تَرْعَ حَقَّ أُبُوَّتِي فَعَلْت كَمَا الْجَارُ الْمُجَاوِرُ

تَـراهُ مُعِـدًّا للخِـلافِ كَأَنَّـه بِرَدٍ عَلَى أهلِ الصوابِ مُوَكَّلُ(١)

فَـأَوْلَيتنِي حَـقَّ الجـوارِ وَلَـمْ لـي بمـالٍ دونَ مالـكِ تَبْخَـلُ

هذا هو حال الوالدين، كانا يحملانك وأنت صغير، ويعلّقان عليك الآمال والأحلام، لعلّه يكبر ويكشف به الله الغمة، فلا تنس ذلك أخي الكريم، وكن لهما عبدًا خادمًا، فإن لم تقدر على ذلك فأمسك عن أذيتهما، واعلم أن الجنة تحت أقدامهما، فقد أوصى

---

(١) انظر: روح المعانى للألوسي٨/ ٥٧.

النبي ﷺ أحد الصحابة فقال: «**الْزَمْ رِجْلَهَا، فَثَمَّ الْجَنَّةُ**». والحديث رواه ابن ماجه وصححه الألبانى(١).

والبر بالوالدين هو من أفضل القربات، وأحبها إلى العزيز الجبار، وهو خلق الأنبياء، ودأب الأخيار، وشيم الصالحين، وهو سبب في زيادة العمر، وسعة الرزق، وتفريج الكربات، وإجابة الدعوات، وانشراح الصدر، وطيب الحياة، وهو من أسباب بر الأبناء وصلاحهم، ودليل على صدق الإيمان، وكرم النفس، وحسن الوفاء.

كما أن العقوق جحودٌ للفضل، ونكرانٌ للجميل، ودليلٌ على الحمق والجهل، وعنوانٌ على الخسةِ والدناءةِ وحقارةِ الشأن وضَعةِ النفس، كما أنه ذنب عظيم، وكبيرة من الكبائر، وقرين للشرك، وموجب للعقوبة في الدنيا، وسبب لرد العمل، ودخول النار في الآخرة(٢).

نسأل الله عز وجل أن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وصلِّ اللهم على محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(١) أخرجه ابن ماجه فى سننه من حديث معاوية بن جاهمة السلمى ٢/ ٩٢٩.

(٢) نقل من كتاب: عقوق الوالدين، للشيخ محمد بن إبراهيم الحمد، ص:١٠، ١١ بتصرف.

التمهيد

البِرُّ لغة:

مِنْ مَعَانِي الْبِرِّ فِي اللُّغَةِ: الْخَيْرُ وَالْفَضْل وَالصِّدْقُ وَالطَّاعَةُ وَالصَّلَاحُ، وقيل: الصِّلَةُ والجَنَّةُ والخَيْرُ والاتِّساعُ في الإِحْسانِ(١).

وَفِي الاِصْطِلَاحِ: يُطْلَقُ فِي الأغْلَبِ عَلَى الإِحْسَانِ بِالْقَوْل اللَّيِّنِ اللَّطِيفِ الدَّال عَلَى الرِّفْقِ وَالْمَحَبَّةِ، وَتَجَنُّبِ غَلِيظِ الْقَوْل الْمُوجِبِ لِلنُّفْرَةِ، وَاقْتِرَانِ ذَلِكَ بِالشَّفَقَةِ وَالْعَطْفِ وَالتَّوَدُّدِ وَالإِحْسَانِ بِالْمَال وَغَيْرِهِ مِنَ الأَفْعَال الصَّالِحَاتِ(٢).

والعقوق ضد البر، قال ابن منظور: «وعق والده يعقه عقا وعقوقا ومعقة: شق عصا طاعته، وعق والديه: قطعهما، ولم يصل رحمه منهما »(٣). هَذَا قَوْل أَهْل اللُّغَة، وَأَمَّا حَقِيقَة الْعُقُوق الْمُحَرَّم شَرْعًا فَقَلَّ مَنْ ضَبَطَهُ (٤).

---

(١) انظر : القاموس المحيط ص٤٤٤ باب «الباء» ، الصحاح مادة « برر ».

(٢) انظر: الفواكه الدواني على رسالة القيرواني ٢ / ٣٨٢ - ٣٨٣.

(٣) انظر: لسان العرب لابن منظور، (١٠/ ٢٥٦).

(٤) انظر : شرح النووي على مسلم ص١٨٩

المبحث الأول

إِنَّ مِنَ الْكَبَائِرِ شَتْمَ الرَّجُل وَالِدَيْهِ

أخرج الإمام مسلم فى «صحيحه» بسنده عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو ابْنِ الْعَاصِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ **قَالَ: «مِنَ الْكَبَائِرِ شَتْمُ الرَّجُلِ وَالِدَيْهِ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ يَشْتُمُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟! قَالَ: «نَعَمْ، يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ فَيَسُبُّ أُمَّهُ»**(١).

قال صاحب «المفهم» فى الشرح: وقوله: «**مِنَ الْكَبَائِرِ شَتْمُ الرَّجُلِ وَالِدَيْهِ**»، يعني: مِنْ أكبرِ الكبائر؛ لأنَّ شتم المسلمِ الذي ليس بِأَبٍ كبيرةٌ، فشتمُ الآباءِ أكبرُ منه.

وقوله: **هَلْ يَشْتُمُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟!** استفهامُ إنكارٍ واستبعادٍ لوقوع ذلك مِنْ أحدٍ من الناس، وهو دليلٌ على ما كانوا عليه من المبالغة في بِرِّ الوالدين، ومِن الملازمةِ لمكارمِ الأخلاق والآداب(٢).

وقال الشيخ محمد حسان- حفظه الله-: فى هذا الحديث أن

---

(١) أخرجه مسلم باب بيان الكبائر وأكبرها ج١/ ص٩٢.

(٢) انظر : المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٢/ ٤٧.

النبي ﷺ قال: «**مِنَ الْكَبَائِرِ شَتْمُ الرَّجُلِ وَالِدَيْهِ**» -لا أن يقتل الرجل والديه- فقال الصحابة: يا رسول الله! وهل يشتم الرجل والديه؟! -الصحابة في مجتمع الطهر استغربوا أن يشتم الرجل والديه- فقال المصطفى ﷺ: « **نَعَمْ، يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ فَيَسُبُّ أُمَّهُ**». إن شتمت أبا رجل شتم أباك، فتكون قد شتمت أنت أباك، وإن شتمت أمه شتم الرجل أمك، فتكون قد شتمت أمك؛ فالعقوق من أكبر الكبائر والعياذ بالله! أيها الأبناء! العقوق سبب للحرمان من الجنة،سبب للطرد من رحمة الله الذي وسعت رحمته كل شيء.

ففي الحديث الذي رواه النسائي والبزار بسند جيد، وحسنه الألباني، ورواه الحاكم في «المستدرك»، وصححه على شرط الشيخين البخاري ومسلم، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: « **ثَلَاثَةٌ لَا يَنْظُرُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: الْعَاقُّ لِوَالِدَيْهِ...**»(١).

---

(١) أخرجه النسائي باب المنان بما أعطى٨/ ٤٠٣.

وتدبروا -أيها الأبناء! وتدبروا أيها الآباء! - هذا الحديث العظيم؛ فإن هؤلاء قد خابوا والله وخسروا؛ لأنهم طردوا من رحمة الرحمن الذي وسعت رحمته كل شيء: «**ثَلَاثَةٌ لا يَنْظُرُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**، قيل: من هم يا رسول الله؟! قال: «**الْعَاقُّ لِوَالِدَيْهِ، وَالْمَرْأَةُ الْمُتَرَجِّلَةُ، وَالدَّيُّوثُ**». والمرأة المترجلة أي: المرأة المتشبهة بالرجال، وكم من امرأة تنتسب إلى الإسلام تتشبه في زيها، وفي مشيتها، وفي كلامها، وفي طريقة معاملتها بالرجال! بل وهي تشعر بلذة حين تتشبه بالرجال، والديوث هو: الذي يقر الزنى والفسق في أهله والعياذ بالله![1].

❊ ❊ ❊

---

(١) دروس للشيخ محمد حسان حفظه الله.

المبحث الثاني

بيان قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ ﴾ [الإسراء: ٢٣]

قال القرطبى رحمه الله فى تفسير قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ ﴾ أي: لا تقل لهما ما يكون فيه أدنى تبرم.

وعن أبى رجاء العطاردي قال: الـ «الأُف» الكلام القذع الرديء الخفي(١).

وقال مجاهد: معناه: إذا رأيت منهما في حال الشيخ الغائط والبول الذي رأياه منك في الصغر، فلا تقذرهما وتقل: أف.

والآية أعم من هذا.

والأف والتف وسخ الأظفار.

ويقال لكل ما يضجر ويستثقل: أف له.

قال الأزهري: والتف أيضا الشيء الحقير، وقُرِئ «أُفٍّ» منونا مخفوض، كما تخفض الأصوات وتنون، تقول: صه ومه.

وفيه عشر لغات: أُفَّ، وأُفِّ، وأُفُّ، وأُفًّا، وأُفٍّ، وأُفٌّ، وأُفَّةَ

---

(١) انظر : تفسير القرطبي ج١٠ ص٢٤٢.

وأَفٍّ لك (بكسر الهمزة)، وأُف (بضم الهمزة وتسكين الفاء)، وأفا (مخففة الفاء).

وفى الحديث(١): «فألقى طرف ثوبه على أنفه ثم قال: أف أف».

قال أبو بكر: معناه استقذار لما شم.

وقال بعضهم: معنى «أف» الاحتقار والاستقلال، أخذ من الأف وهو القليل.

وقال القتبي: أصله نفخك الشيء يسقط عليك من رماد وتراب وغير ذلك، وللمكان تريد إماطة شيءٍ لتقعد فيه، فقيلت هذه الكلمة لكل مستثقل.

وقال أبو عمرو بن العلاء: الأف وسخ بين الأظفار، والتف قلامتها.

وقال الزجّاج: معنى ﴿أُفٍّ﴾ النتن.

وقال الأصمعي: الأف وسخ الأذن، والتف وسخ الأظفار،

---

(١) الذى أخرجه الأصبهانى فى الترغيب والترهيب٣/ ١٣٧.

فكثر استعماله حتى ذكر في كل ما يتأذى به.

وروى من حديث على بن أبى طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « **لو علم الله من العقوق شيئا أردأ من «أف» لذكره، فليعمل البار ما شاء أن يعمل فلن يدخل النار، وليعمل العاق ما شاء أن يعمل فلن يدخل الجنة**»(١).

قال القرطبي: قال علماؤنا: وإنما صارت قوله: «أف» للأبوين أردأ شيء؛ لأنه رفضهما رفض كفر النعمة وجحد التربية ورد الوصية التي أوصاه في التنزيل.

و« أف» كلمة مقولة لكل شي مرفوض، ولذلك قال إبراهيم لقومه: ﴿ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [سورة الأنبياء آية:٦٧]. أي: رفض لكم ولهذه الأصنام معكم(٢).

قال الشيخ الشعراوى رحمه الله: ومعلوم أنه سبحانه إذا نهانا عن هذه فقط نهانا عن غيرها من باب أَوْلى، وما دامتْ هي أقلّ لفظة يمكن أنْ تُقال.

---

(١) انظر: تفسير القرطبي (١٠/ ٢٤٣).

(٢) انظر: تفسير القرطبي (١٠/ ٢٤٣).

إذن: نهانا عن القول وعن الفعل أيضًا.

ثم أكّد هذا التوجيه بقوله: ﴿أُفِّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ [الإسراء: ٢٣].

والنهر هو الزَّجْر بقسوة، وهو انفعال تَالٍ للتضجُّر وأشدّ منه قسوة، وكثيرًا ما نرى مثل هذه المواقف في الحياة، فلو تصوَّرنا الابن يعطي والده كوبًا من الشاي مثلًا فارتعشت يده فأوقع الكوب فوق سجادة ولده الفاخرة، وسريعًا ما يتأفّف الابن لما حدث لسجادته، ثم يقول للوالد من عبارات التأنيب ما يؤلمه ويجرح مشاعره.

إذن: كُنْ على حذر من التأفف، ومن أن تنهر والديك، كُنْ على حذر من هذه الألفاظ التي تسبق إلى اللسان دون فِكْر، ودون تعقّل.

ثم بعد هذا النهي المؤكد يأتي أمر جديد ليؤكد النهي السابق: ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: ٢٣].

وفي هذا المقام تُرْوَى قصة الشاب الذي أوقع أبوه إناء الطعام على ثيابه، فأخذ الولد البار يلعق الطعام الذي وقع على ثوبه وهو يقول لوالده: أطعمك الله كما أطعمتني.

فحوّل الإساءة إلى جميل يُحمَد عليه.

والآخر الذي ذهب يتمرّغ تحت أقدام أمه، فقالت له: كفى يا بني، فقال: إنْ كنتِ تُحبِّينني حقًّا فلا تمنعيني من عمل يُدخِلني الجنة.

والقول الكريم هنا نوع من التصرُّف واللباقة في معاملة الوالدين خاصة حال الشيخوخة التي قد تُقعِد صاحبها، أو المرض الذي يحتاج إلى مساعدة الغير، والأولاد هم أَوْلَى الناس بإعالة الوالدين في هذه الظروف، حيث سيبدو من الإنسان مَا لا يصح الاطلاع عليه إلا لأولاده وأقرب الناس إليه.

وَهَبْ أن الوالد المريض أو الذي بلغ من الكِبَر عتيًّا يريد أنْ يقضي حاجته، ويحتاج لمن يحمله ويُقعِده ويُريحه، وينبغي هنا أن يقول الابن لأبيه: هَوِّن عليك يا والدي، وأعطني فرصة أردّ لك بعض جميلك عليّ، فلكَمْ فعلتَ معي أكثر من هذا.

وهو مع ذلك يكون مُحبًّا لوالده، رفيقًا به، حانيًا عليه، لا يتبرّم به، ولا يتضجر منه، هذا هو القول الكريم الذي ينتقيه الأبناء في المواقف المختلفة.

فمثلًا: قد يزورك أبوك في بيتك، وقد يحدث منه أنْ يكسر شيئًا من لوازم البيت، فتقول له في هذا الموقف: فِدَاك يا والدي.

أو تقول: لا عليك، لقد كنت أفكر في شراء واحدة أحدث منها.

أو غيره من القول الكريم الذي يحفظ للوالدين كرامتهما، ولا يجرح شعورهما (١).

و قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَنْهَرْهُمَا ﴾ النهر: الزجر والغلظة.

وقوله تعالى: ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ أي لينا لطيفا، مثل: يا أبتاه ويا أماه، من غير أن يسميهما ويكنيهما.

قال ابن البداح التجيبي: قلت لسعيد بن المسيب: كل ما في القرآن من بر الوالدين قد عرفته إلا قوله: ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ ما هذا القول الكريم؟ قال ابن المسيب: قول العبد المذنب للسيد الفظ الغليظ.

وقوله تعالى: ﴿ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ ﴾ [الإسراء: ٢٤] .

---

(١) انظر: تفسير الشعراوي (ص: ٥١٥٥).

هذه استعارة في الشفقة والرحمة بهما والتذلل لهما تذلل الرعية للأمير، والعبيد للسادة، كما أشار إليه سعيد بن المسيب[(١)].

وضرب خفض الجناح ونصبه مثلا لجناح الطائر حين ينتصب بجناحه لولده.

قال الشيخ الشعراوى رحمه الله فى تفسيره:الطائر معروف أنه يرفع جناحه ويُرفْرِف به إنْ أراد أن يطير، ويخفضه إنْ أراد أن يحنوَ على صغاره، ويحتضنهم ويغذيهم.

وهذه صورة مُحسَّة لنا، يدعونا الحق سبحانه وتعالى أن نقتدي بها، وأن نعامل الوالدين هذه المعاملة، فنحنو عليهم، ونخفض لهم الجناح، كنايةً عن الطاعة والحنان والتواضع لهما، وإياك أن تكون كالطائر الذي يرفع جناحيه ليطير بهما مُتعاليًا على غيره.

وكثيرًا ما يُعطينا الشرع الحكيم أمثلة ونماذج للرأفة والرحمة في الطيور، ويجعلها قدوة لنا بني البشر.

والذي يرى الطائر يحتضن صغاره تحت جناحه، ويزقّهم

---

(١) انظر: تفسير القرطبي (١٠/ ٢٤٣).

الغذاء يرى عجبًا، فالصغار لا يقدرون على مضغ الطعام، وتكسيره، وليس لديهم اللعاب الذي يساعدهم على أنْ يزدردوا الطعام فيقوم الوالدان بهذه المهمة ثم يناولانهم غذاءهم جاهزًا يسهل بَلْعه، وإنْ تيسر لك رؤية هذا المنظر فسوف ترى الطائر وفراخه يتراقصون فرحة وسعادة (١).

(والذل): هو اللين. فينبغي بحكم هذه الآية أن يجعل الإنسان نفسه مع أبويه في خير ذلة، في أقواله وسكناته ونظره، ولا يحد إليهما بصره فإن تلك هي نظرة الغاضب(٢).

وقال الشيخ الشعراوى رحمه الله فى «تفسيره»: الذلَّة هنا ذِلَّة تواضع ورحمة بالوالدين، ولكن رحمتك أنت لا تكفي، فعليك أن تطلب لهما الرحمة الكبرى من الله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٤].

لأن رحمتك بهما لا تَفي بما قدّموه لك، ولا ترد لهما الجميل، وليس البادئ كالمكافئ، فهم أحسنوا إليك بداية وأنت أحسنتَ

---

(١) انظر: تفسير الشعراوي (ص: ٥١٥٧).

(٢) انظر: تفسير القرطبي (١٠/ ٢٤٣).

إليهما ردًّا؛ لذلك ادْعُ الله أنْ يرحمهما، وأنْ يتكفل سبحانه عنك برد الجميل، وأن يرحمهما رحمة تكافئ إحسانهما إليك.

وقوله تعالى: ﴿كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٤].

﴿كَمَا﴾: قد تفيد التشبيه، فيكون المعنى: ارحمهما رحمة مثل رحمتهما بي حين ربياني صغيرًا. أو تفيد التعليل: أي ارحمهما لأنهما ربياني صغيرًا، كما قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ﴾ [البقرة: ١٩٨]. و﴿رَبَّيَانِي﴾ هذه الكلمة أدخلت كل مُربٍّ للإنسان في هذا الحكم، وإنْ لم يكُنْ من الوالدين، لأن الولد قد يُربّيه غير والديه لأيِّ ظرف من الظروف، والحكم يدور مع العلة وجودًا وعَدمًا، فإنْ ربّاك غير والديك فلهما ما للوالدين من البرِّ والإحسان وحُسْن المعاملة والدعاء.

وهذه بشرى لمن رَبَّى غير ولده، ولاسيما إنْ كان المربَّى يتيمًا، أو في حكم اليتيم. وفي: ﴿رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٤]. اعتراف من الابن بما للوالدين من فضل عليه وجميل يستحق الرد.

وبعد ذلك يأتي الحق سبحانه في تذييل هذا الحكم بقضية تشترك فيها معاملة الابن لأبويه مع معاملته لربه عز وجل، فيقول

تعالى: ﴿ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴾[1] [الإسراء: ٢٥].

ثم حذر الله تعالى من التهاون في بر الوالدين، فقال: ﴿ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ ﴾ أي: إن المطلوب من الولد هو البر ظاهرا وباطنا، حقيقة وفعلا، لا رياء ومجاملة ظاهرية، والعبرة بما في القلب من الإخلاص في الطاعة؛ لأن الله مطّلع على ما في النفوس، وهو سبحانه أعلم بأحوال الولد في البر، والوعد للأولاد بغفران الذنوب في حال البر: مشروط بشرط الصلاح والرجوع (أو الأوبة) إلى طاعة الله، فإنه سبحانه كثير المغفرة للتائبين الراجعين إلى الخير، العادلين عن المعصية إلى الطاعة وإلى ما يحبه الله ويرضاه. والمقصود من الآية: التحذير من ترك الإخلاص[2].

نسأل الله عز وجل أن يرزقنا الإخلاص فى القول والعمل، إنه ولى ذلك والقادر عليه، وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(١) تفسير الشعراوي (ص: ٥١٥٨).

(٢) انظر: التفسير الوسيط للزحيلي٢/ ١٣٣٩.

المبحث الثالث
بِمَ يكُونُ الْبِرُّ وآثاره

قال تَعَالَى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا﴾ [سورة النساء: ٣٦].

قَال ابْنُ عَبَّاسٍ فى تفسير هذه الآية: يُرِيدُ الْبِرَّ بِهِمَا مَعَ اللُّطْفِ وَلِينِ الْجَانِبِ، فَلَا يُغْلِظُ لَهُمَا فِي الْجَوَابِ، وَلَا يُحِدُّ النَّظَرَ إِلَيْهِمَا، وَلَا يَرْفَعُ صَوْتَهُ عَلَيْهِمَا، بل يكون بين يديهما مثل العبد بين يدى سيده تذللا لهما(١).

ويَكُونُ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ بِالإحْسَانِ إِلَيْهِمَا بِالقَوْل اللَّيِّنِ الدَّال عَلَى الرِّفْقِ بِهِمَا وَالمَحَبَّةِ لَهُمَا، وَتَجَنُّبِ غَلِيظِ الْقَوْل الْمُوجِبِ لِنُفْرَتِهِمَا، وَبِمُنَادَاتِهِمَا بِأَحَبِّ الألْفَاظِ إِلَيْهِمَا، كَ: يَا أُمِّي وَيَا أَبِي، وَلْيَقُل لَهُمَا مَا يَنْفَعُهُمَا فِي أَمْرِ دِينِهِمَا وَدُنْيَاهُمَا، وَيُعَلِّمْهُمَا مَا يَحْتَاجَانِ إِلَيْهِ مِنْ أُمُورِ دِينِهِمَا، وَلْيُعَاشِرْهُمَا بِالمَعْرُوفِ(٢).

---

(١) انظر روح المعانى للألوسي ٤/ ٢٩٧.

(٢) انظر الخلاصة فى شرح الخمسين الشامية لعلى بن نايف الشحود ص٢٦٦.

وَيُطِيعُهُمَا فِي فِعْل جَمِيعِ مَا يَأْمُرَانِهِ بِهِ، مِنْ وَاجِبٍ أَوْ مَنْدُوبٍ، وَفِي تَرْكِ مَا لَا ضَرَرَ عَلَيْهِ فِي تَرْكِهِ، وَلَا يُحَاذِيهِمَا فِي الْمَشْيِ، فَضْلًا عَنِ التَّقَدُّمِ عَلَيْهِمَا، إِلَّا لِضَرُورَةٍ نَحْوِ ظَلَامٍ وخلافه، وَإِذَا دَخَل عَلَيْهِمَا لَا يَجْلِسُ إِلَّا بِإِذْنِهِمَا، وَإِذَا قَعَدَ لَا يَقُومُ إِلَّا بِإِذْنِهِمَا، وَلَا يَسْتَقْبِحُ مِنْهُمَا نَحْوَ الْبَوْل عِنْدَ كِبَرِهِمَا أَوْ مَرَضِهِمَا؛ لِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ أَذِيَّتِهِمَا، وَمِنَ الْبِرِّ بِهِمَا وَالإِحْسَانِ إِلَيْهَا: أَلَّا يُسِيءَ إِلَيْهِمَا بِسَبٍّ أَوْ شَتْمٍ أَوْ إِيذَاءٍ بِأَيِّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِهِ، فَإِنَّهُ مِنَ الْكَبَائِرِ بِلَا خِلَافٍ.

وصدق من قال:

أَطِعِ الإلَهَ كَمَا أَمَرْ ... وَامْلأْ فُؤَادَكَ بِالحَذَرْ
وَأَطِعْ أَبَاكَ فَإِنَّهُ ... رَبَّاكَ فِي عَهْدِ الصِّغَرْ
وَاخْضَعْ لأُمِّكَ وَارْضِهَا ... فَعُقُوقُهَا إِحْدَى الكُبَرْ

*** وسُئل الفضيل بن عياض عن بر الوالدين فقال:**

ألا تقوم إلى خدمتها وأنت كسلان، وقيل: ألا ترفع صوتك عليها ولا تنظر إليها شزرا، ولا يريا منك مخالفة في ظاهر أو باطن، وأن تترحم عليهما ما عاشا، وتدعو لهما إذا ماتا، وتقومَ بخدمة

أوِدّائِهما من بعدهما(١).

* و**الإحسان للوالدين من الوصايا العشر التي ذكرت في سورة الأنعام** في قوله تعالى: ﴿ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ﴾ [الأنعام: ١٥١].

وهو من المواثيق التي أخذها الله على بني إسرائيل؛ لقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ [البقرة: ٨٣].

قال قتادة: ميثاق أخذه الله على بني إسرائيل، فاسمعوا على ما أخذ ميثاق القوم(٢).

* **وهو من أفضل الأعمال بعد الصلاة**: كما ذكر في حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فعَنْ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «**الصَّلَاةُ لِوَقْتِهَا**» قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ **قَالَ**: «**بِرُّ الْوَالِدَيْنِ**». قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ **قَالَ**: «**الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ الله**»(٣).

---

(١) انظر: تفسير أبي السعود ٤/ ١٨٦.

(٢) انظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي (١/ ٤٥٢).

(٣) أخرجه مسلم فى صحيحه باب كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال (٨٣).

* **وأنه مقدمٌ على الجهاد في سبيل الله:** كما في حديث عَبْدِ اللهِ ابْنِ عَمْرٍو قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَسْتَأْذِنُهُ فِي الْجِهَادِ، فَقَالَ: «**أَحَيٌّ وَالِدَاكَ؟**» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «**فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ**»(١).

وعَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو أيضًا، أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي جِئْتُ أُبَايِعُكَ عَلَى الْهِجْرَةِ، وَلَقَدْ تَرَكْتُ أَبَوايَّ يَبْكِيَانِ. قَالَ: «**ارْجِعْ إِلَيْهِمَا فَأَضْحِكْهُمَا كَمَا أَبْكَيْتَهُمَا**»(٢).

قال جمهور العلماء: يحرم الجهاد إذا منع الأبوان أو أحدهما بشرط أن يكونا مسلمين؛ لأن برهما فرض عين عليه، والجهاد فرض كفاية، فإذا تعين الجهاد بالنفير من الإمام فلا إذن، لقوله ﷺ: «**وإذا استنفرتم فانفروا**»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب: الجهاد والسير، باب: الجهاد بإذن الأبوين، برقم: (٣٠٠٤) ٤/ ٧١.

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند، برقم: (٢/ ١٦٠) وصححه الألباني.

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، المجلد الخامس، ١٠/ ٢٤٠، بتصرف.

والحديث صحيح. أخرجه البخاري (رقم ٣٠٨٠)، ومسلم (رقم ١٨٦٤) من حديث أم المؤمنين عائشة. =

*** وإن رضا الوالدين سبب رضا الرب، وسخطهما سبب سخط الرب:**

عن عبدِ الله بنِ عَمْرٍو عن النبيِّ ﷺ قالَ: «**رِضا الرَّبِّ في رِضَا الْوَالِدِ، وسَخَطُ الرَّبِّ في سَخَطِ الْوَالِدِ**»(١).

*** وبر الوالدين سبب في استجابة الدعاء وتفريج الكربات:**

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**بَيْنَمَا ثَلَاثَةُ نَفَرٍ يَتَمَشَّوْنَ أَخَذَهُمُ المَطَرُ، فَأَوَوْا إِلَى غَارٍ فِي جَبَلٍ، فَانْحَطَّتْ عَلَى فَمِ غَارِهِمْ صَخْرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ، فَانْطَبَقَتْ عَلَيْهِمْ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: انْظُرُوا أَعْمَالًا عَمِلْتُمُوهَا صَالِحَةً لله، فَادْعُوا اللَّهَ تَعَالَى بِهَا، لَعَلَّ اللَّهَ يَفْرُجُهَا عَنْكُمْ، فَقَالَ أَحَدُهُم: اللَّهمَّ إِنَّهُ كَانَ لِي وَالِدَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ وَامْرَأَتِي، وَلِي صِبْيَةٌ صِغَارٌ أَرْعَى عَلَيْهِمْ، فَإِذَا**

= وأخرجه البخاري (٢٧٨٣، ٣٠٧٧)، ومسلم (١٣٥٣) من حديث ابن عباس.

(١) أخرجه الترمذي، كتاب: البر والصلة، باب: ما جاء في رضا الوالدين، برقم: (١٨٩٩)، وصححه الشيخ الألباني، انظر: صحيح الجامع الصغير، ١/ ٦٥٨، ح: ٣٥٠٦.

أَرَحْتُ عَلَيْهِمْ، حلَبْتُ، فَبَدَأْتُ بِوَالِدَيَّ فَسَقَيْتُهُمَا قَبْلَ بَنِيَّ، وَإِنَّهُ نَأَى بِي ذَاتَ يَوْمٍ الشَّجَرُ فَلَمْ آتِ حَتَّى أَمْسَيْتُ فَوَجَدْتُهُمَا قَدْ نَامَا، فَحَلَبْتُ كَمَا كُنْتُ أَحْلُبُ، فَجِئْتُ بِالْحِلَابِ فَقُمْتُ عِنْدَ رُءُوسِهِمَا أَكْرَهُ أَنْ أُوقِظَهُمَا مِنْ نَوْمِهِمَا، وَأَكْرَهُ أَنْ أَسْقِيَ الصِّبْيَةَ قَبْلَهُمَا، وَالصِّبْيَةُ يَتَضَاغَوْنَ عِنْدَ قَدَمَيَّ، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَأْبِي وَدَأْبَهُمْ حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ لَنَا مِنْهَا فُرْجَةً، نَرَى مِنْهَا السَّمَاءَ، فَفَرَّجَ اللّٰهُ مِنْهَا فُرْجَةً فَرَأَوْا مِنْهَا السَّمَاءَ....»(١).

قال النووي فى الشرح: اسْتَدَلَّ أَصْحَابنَا بِهَذَا عَلَى أَنَّهُ يُسْتَحَبّ لِلإِنسَانِ أَنْ يَدْعُوَ فِي حَال كَرْبه، وَفِي دُعَاء الِاسْتِسْقَاء وَغَيْره بِصَالِحِ عَمَله، وَيَتَوَسَّل إِلَى الله تَعَالَى بِهِ؛ لِأَنَّ هَؤُلَاءِ فَعَلُوهُ فَاسْتُجِيبَ لَهُمْ، وَذَكَرَهُ النَّبِيّ ﷺ فِي مَعْرِض الثَّنَاء عَلَيْهِمْ، وَجَمِيل فَضَائِلهمْ.

وَفِي هَذَا الْحَدِيث: فَضْل بِرّ الْوَالِدَيْنِ وَفَضْل خِدْمَتهمَا

---

(١) أخرجه البخاري، وأخرجه مسلم، كتاب الرقاق، باب: قصة أصحاب الغار الثلاثة، برقم: (٢٧٤٣) ٨/ ٨٩.

وَإِيثَارِهِمَا عَمَّنْ سِوَاهُمَا مِنَ الْأَوْلَادِ وَالزَّوْجَةِ وَغَيْرِهِمْ.

*** وبر الوالدين سبب في مد العمر وزيادة الرزق:**

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ سَرهُ أَنْ يُمَدَّ لَهُ فِي عُمُرِهِ، وَيُزَادَ لَهُ فِي رزقِهِ، فَلْيَبَرَّ والِدَيْهِ، وَلْيَصِلْ رَحِمَهُ**»(١).

ومعنى الزيادة في العمر البركة فيه والتوفيق للطاعات وعمارة أوقاته بما ينفعه في الآخرة وصيانتها عن الضياع في غير ذلك. وقيل: بقاء ذكره الجميل بعد موته فكأنه لم يمت(٢).

*** وبر الوالدين سبب في دخول الجنة من أفضل أبوابها:**

عن أبي الدَّرداءِ رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يقول: «**الْوَالِدُ أَوْسَطُ أَبْوَابِ الجَنَّةِ، فإِن شِئْتَ فأَضِعْ ذلكَ البابَ أو احْفَظْهُ**»(٣).

---

(١) أخرجه أحمد فى مسنده رقم١٣٤٢٥ج٣ص٢٢٩. وحسنه الألبانى.

(٢) انظر: كتاب «إنَّ الله كتب الإحسان» للدكتور فالح ص٤٧.

(٣) أخرجه الترمذى ج٤/ ٣١١ وصححه الألبانى.

قَالَ الْقَاضِي ابن العربي فى «التحفة»(١): أَيْ خَيرُ الْأَبْوَابِ وَأَعْلَاهَا، وَالْمَعْنَى أَنَّ أَحْسَنَ مَا يُتَوَسَّلُ بِهِ إِلَى دُخُولِ الْجَنَّةِ وَيُتَوَسَّلُ بِهِ إِلَى وُصُولِ دَرَجَتِهَا الْعَالِيَةِ مُطَاوَعَةُ الْوَالِدِ وَمُرَاعَاةُ جَانِبِهِ.

وَقَالَ غَيْرُهُ: إِنَّ لِلْجَنَّةِ أَبْوَابًا وَأَحْسَنُهَا دُخُولًا أَوْسَطُهَا، وَإِنَّ سَبَبَ دُخُولِ ذَلِكَ الْبَابِ الْأَوْسَطِ هُوَ مُحَافَظَةُ حُقُوقِ الْوَالِدِ. اِنْتَهَى.

فَالْمُرَادُ بِالْوَالِدِ الْجِنْسُ، أَوْ إِذَا كَانَ حُكْمُ الْوَالِدِ هَذَا فَحُكْمُ الْوَالِدَةِ أَقْوَى، وَبِالِاعْتِبَارِ أَوْلَى.

*** وبر الوالدين سبب في بر الأبناء:**

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**عِفُّوا عَنْ نِساءِ النّاسِ تَعِفَّ نِساؤُكُمْ، وَبَرّوا آباءَكُمْ تَبَرّكُمْ أَبْناؤُكُمْ**»(٢).

قال ابن تيمية رحمه الله: فَإِنَّ الْجَزَاءَ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ، وَكَمَا تَدِينُ تُدَانُ، وَمِنْ عُقُوبَةِ السَّيِّئَةِ السَّيِّئَةُ بَعْدَهَا.

---

(١) انظر: تحفة الأحوذى، باب ما جاء من الفضل فى بر الوالدين ٦/ ٢١.

(٢) روه الحاكم في المستدرك٤ / ١٧٠، برقم: (٧٣٣٦)، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وضعفه الألباني.

*** وَمِنْ بِرِّهِمَا صِلَةُ أَهْلِ وُدِّهِمَا.**

أخرج الإمام مسلم فى «صحيحه» بسنده عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّهُ كَانَ إِذَا خَرَجَ إِلَى مَكَّةَ كَانَ لَهُ حِمَارٌ يَتَرَوَّحُ عَلَيْهِ إِذَا مَلَّ رُكُوبَ الرَّاحِلَةِ، وَعِمَامَةٌ يَشُدُّ بِهَا رَأْسَهُ، فَبَيْنَا هُوَ يَوْمًا عَلَى ذَلِكَ الْحِمَارِ إِذْ مَرَّ بِهِ أَعْرَابِىٌّ فَقَالَ: أَلَسْتَ ابْنَ فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ قَالَ: بَلَى، فَأَعْطَاهُ الْحِمَارَ وَقَالَ ارْكَبْ هَذَا،وَالْعِمَامَةَ - قَالَ - اشْدُدْ بِهَا رَأْسَكَ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ: غَفَرَ اللهُ لَكَ أَعْطَيْتَ هَذَا الأَعْرَابِىَّ حِمَارًا كُنْتَ تَرَوَّحُ عَلَيْهِ وَعِمَامَةً كُنْتَ تَشُدُّ بِهَا رَأْسَكَ. فَقَالَ: إِنِّى سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ مِنْ أَبَرِّ الْبِرِّ صِلَةَ الرَّجُلِ أَهْلَ وُدِّ أَبِيهِ بَعْدَ أَنْ يُوَلِّىَ**»، وَإِنَّ أَبَاهُ كَانَ صَدِيقًا لِعُمَرَ(١).

قال ابن عثيمين رحمه الله: وفي هذا الحديث دليل على امتثال الصحابة ورغبتهم في الخير ومسارعتهم إليه؛ لأن ابن عمر استفاد من هذا الحديث فائدة عظيمة، فإنه فعل هذا الإكرام بهذا الأعرابي

---

(١) أخرجه مسلم رقم ٦٦٧٩ ج٨ ص٦ باب فضل صلة أصدقاء الأب والأم.

من أجل أن أباه كان صديقًا لعمر، فما ظنك لو رأي الرجل الذي كان صديقا لعمر لأكرمه أكثر وأكثر، فيستفاد من هذا الحديث أنه إذا كان لأبيك أو أمك أحد بينهم وبينه ود فأكرمه، كذلك إذا كان هناك نسوة صديقات لأمك فأكرم هؤلاء النسوة،وإذا كان رجال أصدقاء لأبيك فأكرم هؤلاء الرجال، فإن هذا من البر، وفي هذا الحديث أيضا سعة رحمة الله عز وجل حيث إن البر بابه واسع لا يختص بالوالد والأم فقط، بل حتى أصدقاء الوالد وأصدقاء الأم إذا أحسنت إليهم فإنما بررت والديك فتثاب ثواب البار بوالديه، وهذه من نعمة الله عز وجل أن وسع على عباده أبواب الخير وكثّرها لهم حتى يلجوا فيها من كل جانب.

وَكَانَ ﷺ يُهْدِي لِصَدَائِقِ خَدِيجَةَ بِرًّا بِهَا وَوَفَاءً لَهَا، وَهِيَ زَوْجَتُهُ، فَمَا ظَنُّكَ بِالْوَالِدَيْنِ (١)؟!

نسأل الله تعالى أن يجعلنا والمسلمين من البررة، إنه جواد كريم، وصلِّ الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٠ / ٢٤١.

أجمعين[1].

* * *

(١) انظر: شرح رياض الصالحين لابن عثيمين (ص: ٣٩٦)

المبحث الرابع

تَقْدِيمِ بِرِّ الْوَالِدَيْنِ عَلَى التَّطَوُّعِ بِالصَّلاةِ وَغَيْرِهَا

أخرج الإمام مسلم فى «صحيحه» بسنده عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّهُ قَالَ: كَانَ جُرَيْجٌ يَتَعَبَّدُ فِى صَوْمَعَةٍ فَجَاءَتْ أُمُّهُ. قَالَ حُمَيْدٌ: فَوَصَفَ لَنَا أَبُو رَافِعٍ صِفَةَ أَبِى هُرَيْرَةَ لِصِفَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أُمَّهُ حِينَ دَعَتْهُ كَيْفَ جَعَلَتْ كَفَّهَا فَوْقَ حَاجِبِهَا، ثُمَّ رَفَعَتْ رَأْسَهَا إِلَيْهِ تَدْعُوهُ فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ، أَنَا أُمُّكَ كَلِّمْنِى. فَصَادَفَتْهُ يُصَلِّى فَقَالَ: اللَّهُمَّ أُمِّى وَصَلاَتِى. فَاخْتَارَ صَلاَتَهُ، فَرَجَعَتْ ثُمَّ عَادَتْ فِى الثَّانِيَةِ فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ، أَنَا أُمُّكَ فَكَلِّمْنِى. قَالَ: اللَّهُمَّ أُمِّى وَصَلاَتِى. فَاخْتَارَ صَلاَتَهُ فَقَالَتِ: اللَّهُمَّ إِنَّ هَذَا جُرَيْجٌ وَهُوَ ابْنِى وَإِنِّى كَلَّمْتُهُ فَأَبَى أَنْ يُكَلِّمَنِى، اللَّهُمَّ فَلاَ تُمِتْهُ حَتَّى تُرِيَهُ الْمُومِسَاتِ.

قَالَ: وَلَوْ دَعَتْ عَلَيْهِ أَنْ يُفْتَنَ لَفُتِنَ. قَالَ: وَكَانَ رَاعِىَ ضَأْنٍ يَأْوِى إِلَى دَيْرِهِ. قَالَ: فَخَرَجَتِ امْرَأَةٌ مِنَ الْقَرْيَةِ فَوَقَعَ عَلَيْهَا الرَّاعِى فَحَمَلَتْ فَوَلَدَتْ غُلاَمًا فَقِيلَ لَهَا مَا هَذَا قَالَتْ مِنْ صَاحِبِ هَذَا الدَّيْرِ. قَالَ: فَجَاءُوا بِفُئُوسِهِمْ وَمَسَاحِيهِمْ فَنَادَوْهُ فَصَادَفُوهُ يُصَلِّى فَلَمْ يُكَلِّمْهُمْ. قَالَ: فَأَخَذُوا يَهْدِمُونَ دَيْرَهُ،فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ نَزَلَ إِلَيْهِمْ

فَقَالُوا لَهُ: سَلْ هَذِهِ. قَالَ: فَتبَسَّمَ ثُمَّ مَسَحَ رَأْسَ الصَّبِيِّ فَقَالَ: مَنْ أَبُوكَ؟ قَالَ: أَبِي رَاعِي الضَّأْنِ.

فَلَمَّا سَمِعُوا ذَلِكَ مِنْهُ قَالُوا: نَبْنِي مَا هَدَمْنَا مِنْ دَيْرِكَ بِالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ. قَالَ: لَا وَلَكِنْ أَعِيدُوهُ تُرَابًا كَمَا كَانَ. ثُمَّ عَلَاهُ (١).

من عبر القصة:

١- عِظَم بِرّ الْوَالِدَيْنِ، وَإِجَابَة دُعَائِهِمَا وَلَوْ كَانَ الْوَلَد مَعْذُورًا؛ لَكِنْ يَخْتَلِف الْحَال فِي ذَلِكَ بِحَسَبِ الْمَقَاصِد.

٢- تَأَكُّد حَقّ الْأُمّ، وَأَنَّ دُعَاءَهَا مُجَاب.

٣- إِيثَار إِجَابَة الْأُمّ عَلَى صَلَاة التَّطَوُّع؛ لِأَنَّ الِاسْتِمْرَار فِيهَا نَافِلَة وَإِجَابَة الأُمّ وَبِرّهَا وَاجِب.

٤-إِذَا تَعَارَضَتِ الْأُمُور بُدِئَ بِأَهَمِّهَا.

٥- يَجْعَل الله تَعَالَى لِأَوْلِيَائِهِ مَخَارِج عِنْد ابْتِلَائِهِمْ بِالشَّدَائِدِ غَالِبًا مصداقا لقوله تَعَالَى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴾ [سورة الطلاق: ٢]. وإِنَّمَا يَتَأَخَّر ذَلِكَ عَنْ بَعْضهمْ فِي بَعْض الْأَوْقَات تَهْذِيبًا

(١) أخرجه مسلم برقم٦٦٧٢ ج٨ ص٣.

وَزِيَادَة لَهُمْ فِي الثَّوَاب.

٨- إِثْبَات كَرَامَات الْأَوْلِيَاء، وَهُوَ مَذْهَب أَهْل السُّنَّة.

٩- الرِّفْق بِالتَّابِع إِذَا جَرَى مِنْهُ مَا يَقْتَضِي التَّأْدِيب؛ لِأَنَّ أُمّ جُرَيْج مَعَ غَضَبهَا مِنْهُ لَمْ تَدْعُ عَلَيْهِ إِلَّا بِمَا دَعَتْ بِهِ خَاصَّة، وَلَوْلَا طَلَبهَا الرِّفْق بِهِ لَدَعَتْ عَلَيْهِ بِوُقُوعِ الْفَاحِشَة أَوِ الْقَتْل.

١٠- صَاحِب الصِّدْق مَعَ اللهِ لَا تَضُرّهُ الْفِتَن.

١١- قُوَّة يَقِين جُرَيْج وَصِحَّة رَجَائِهِ؛ لأَنَّـهُ اِسْتَنْطَقَ الْمَوْلُود، مَعَ كَوْن الْعَادَة أَنَّهُ لَا يَنْطِق؛ وَلَوْلَا صِحَّة رَجَائِهِ بِنُطْقِهِ مَا اسْتَنْطَقَهُ.

١٢- جَوَاز الْأَخْذ بِالْأَشَدِّ فِي الْعِبَادَة لِمَنْ عَلِمَ مِنْ نَفْسه قُوَّة عَلَى ذَلِكَ.

١٣- الْمَفْزَع فِي الْأُمُور الْمُهِمَّة إِلَى اللهِ يَكُون بِالتَّوَجُّهِ إِلَيْهِ فِي الصَّلَاة (١).

تقديم الأُمِّ فى البر:

وَنَظَرًا لِقِيَامِ الأُمِّ بِالْعِبْءِ الأَكْبَرِ فِي تَرْبِيَةِ الْوَلَدِ اخْتَصَّهَا الشَّارِعُ

(١) انظر: دروس وعبر من صحيح القصص النبوي (ص: ٣٢)، جمع شحاتة صقر.

بِمَزِيدٍ مِنَ الْبِرِّ، بَعْدَ أَنْ أَوْصَى بِبِرِّهِمَا، فَقَال تَعالَى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾[لقمان: ١٤].

أخرج البخاري في صحيحه من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَال: يَا رَسُول اللهِ، مَنْ أَحَقُّ بِحُسْنِ صَحَابَتِي ؟ قَال: «**أُمُّكَ**» قَال: ثُمَّ مَنْ ؟ قَال: «**أُمُّكَ**». قَال: ثُمَّ مَنْ ؟ قَال: «**أُمُّكَ**». قَال: ثُمَّ مَنْ ؟ قَال: «**أَبُوكَ**»(١).

وأخرج البخاري في «الأدب المفرد» عَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِيكَرِبَ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ اللهَ يُوصِيكُمْ بِأُمَّهَاتِكُمْ، ثُمَّ يُوصِيكُمْ بِأُمَّهَاتِكُمْ، ثُمَّ يُوصِيكُمْ بِآبَائِكُمْ، ثُمَّ يُوصِيكُمْ بِالأَقْرَبِ فَالأَقْرَبِ**»(٢).

ومِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ: أَيُّ النَّاسِ أَعْظَمُ حَقًّا عَلَى الْمَرْأَةِ ؟ قَال: «**زَوْجُهَا**». قُلْتُ: فَعَلَى الرَّجُل ؟

---

(١) أخرجه البخاري ج٨ ص٢.

(٢) أخرجه البخاري في الأدب ص٣٥، وصححه الألباني.

قَال: «**أُمُّهُ**»(١).

فَفِيمَا ذُكِرَ - وَغَيْرُهُ كَثِيرٌ - مِمَّا سَبَقَ بَيَانُهُ، دَلِيلٌ عَلَى مَنْزِلَةِ الأبَوَيْنِ، وَتَقْدِيمِ الأمِّ فِي الْبِرِّ عَلَى الأبِ فِي ذَلِكَ؛ لِصُعُوبَةِ الْحَمْل، ثُمَّ الْوَضْعِ وَآلامِهِ، ثُمَّ الرَّضَاعِ وَمَتَاعِبِهِ، وَهَذِهِ أُمُورٌ تَنْفَرِدُ بِهَا الأمُّ وَتَشْقَى بِهَا، ثُمَّ تُشَارِكُ الأبَ فِي التَّرْبِيَةِ، فَضْلًا عَنْ أَنَّ الأمَّ أَحْوَجُ إِلَى الرِّعَايَةِ مِنَ الأبِ وَلا سِيَّمَا حَال الْكِبَرِ.

وَفِي تَقْدِيمِ هَذَا الْحَقِّ أَيْضًا: أَنَّهُ لَوْ وَجَبَتِ النَّفَقَةُ عَلَى الْوَلَدِ لأبَوَيْهِ، وَلَمْ يَقْدِرْ إِلَّا عَلَى نَفَقَةِ أَحَدِهِمَا، فَتُقَدَّمُ الأُمُّ عَلَى الأبِ فِي أَصَحِّ الرِّوَايَاتِ عِنْدَ الْحَنَفِيَّةِ وَالْمَالِكِيَّةِ وَالشَّافِعِيَّةِ، وَهُوَ رَأْيٌ عِنْدَ الْحَنَابِلَةِ، وَذَلِكَ لِمَا لَهَا مِنْ مَشَقَّةِ الْحَمْلِ وَالرَّضَاعِ وَالتَّرْبِيَةِ وَزِيَادَةِ الشَّفَقَةِ، وَأَنَّهَا أَضْعَفُ وَأَعْجَزُ. هَذَا مَا لَمْ يَتَعَارَضَا فِي بِرِّهِمَا.

---

(١) قال الحاكم فى المستدرك ٤/ ١٩٣: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.
وأخرجه البزار كما فى مجمع الزوائد (٤/ ٣٠٩) قال الهيثمى: فيه أبو عتبة ولم يحدث عنه غير مسعر، وبقية رجاله رجال الصحيح. وأخرجه أيضًا: النسائى فى الكبرى (٥/ ٣٦٣، رقم ٩١٤٨).

فَإِنْ تَعَارَضَا فِيهِ، بِأَنْ كَانَ فِي طَاعَةِ أَحَدِهِمَا مَعْصِيَةُ الآخَرِ، فَإِنَّهُ يُنْظَرُ: إِنْ كَانَ أَحَدُهُمَا يَأْمُرُ بِطَاعَةٍ وَالآخَرُ يَأْمُرُ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِنَّ عَلَيْهِ أَنْ يُطِيعَ الآمِرَ بِالطَّاعَةِ مِنْهُمَا دُونَ الآمِرِ بِالْمَعْصِيَةِ، فِيمَا أَمَرَ بِهِ مِنْ مَعْصِيَةٍ. لِقَوْلِهِ ﷺ: «**لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ**»(١)، وَعَلَيْهِ أَنْ يُصَاحِبَهُ بِالْمَعْرُوفِ؛ لِلأَمْرِ بِذَلِكَ فِي قَوْله تَعَالَى: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [سورة لقمان: ١٥]. وَهِيَ وَإِنْ كَانَتْ نَزَلَتْ فِي الأَبَوَيْنِ الْكَافِرَيْنِ، إِلَّا أَنَّ الْعِبْرَةَ بِعُمُومِ اللَّفْظِ لَا بِخُصُوصِ السَّبَبِ.

أَمَّا إِنْ تَعَارَضَ بِرُّهُمَا فِي غَيْرِ مَعْصِيَةٍ، وَحَيْثُ لَا يُمْكِنُ إِيصَال الْبِرِّ إِلَيْهِمَا دَفْعَةً وَاحِدَةً، فَقَدْ قَال الْجُمْهُورُ: طَاعَةُ الأُمِّ مُقَدَّمَةٌ؛ لأَنَّهَا تَفْضُل الأَبَ فِي الْبِرِّ.

وَقِيل: هُمَا فِي الْبِرِّ سَوَاءٌ. فَقَدْ رُوِيَ أَنَّ رَجُلًا قَال لِمَالِكٍ: وَالِدِي فِي السُّودَانِ، كَتَبَ إِلَيَّ أَنْ أَقْدَمَ عَلَيْهِ، وَأُمِّي تَمْنَعُنِي مِنْ ذَلِكَ. فَقَال لَهُ مَالِكٌ: أَطِعْ أَبَاكَ وَلَا تَعْصِ أُمَّكَ.

---

(١) انظر: شرح السنة للبغوى من حديث النواس بن سمعان.

يَعْنِي أَنَّهُ يُبَالِغُ فِي رِضَا أُمِّهِ بِسَفَرِهِ لِوَالِدِهِ، وَلَوْ بِأَخْذِهَا مَعَهُ، لِيَتَمَكَّنَ مِنْ طَاعَةِ أَبِيهِ وَعَدَمِ عِصْيَانِ أُمِّهِ(١).

وأخرج الإمام مسلم فى «صحيحه» بسنده عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**رَغِمَ أَنْفُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ** ». قِيلَ: مَنْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**مَنْ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا فَلَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ**»(٢).

ومعنى «رغم أنفه»؛ أي: خاب وخسر وضاعت منه فرصة ما حصلها، الذي يدرك والديه أو أحدهما عند كبرهما ولم يدخل الجنة بسبب برهما، فهذه فرصة قد ضاعت من يده.

❊ ❊ ❊

---

(١) انظر: عشرة النساء للنسائي ص١٢٢.

(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه ٨/ ٥.

إرضاء الأم بكل الوسائل

وأرادت أم أبي حنيفة أن تستفتي في شيء، فأفتاها، فلم تقبل، وقالت: ما أقبل إلا ما يقوله زرعة القاص، فجاء بها أبو حنيفة إلى زرعة، فقال: هذه أمي تستفتيك في كذا وكذا،فقال: أنت أعلم مني وأفقه، فأفتها أنت. فقال أبو حنيفة: قد أفتيتها بكذا وكذا. فقال زرعة: القول كما قال أبو حنيفة.فرضيت [1].

وكان ابن الحنفية يغسل رأس أمه ويمشطها ويخضبها.

أسلم أويس على عهد النبي ﷺ ولكن منعه من القدوم بره بأمه[2].

كان عبد الله بن عون[3] قد دعته أمه يومًا في حاجة فأجابها برفع الصوت، فأعتق ذلك اليوم رقبتين كفارة لرفع صوته

---

(١) انظر: الطبقات السنية في تراجم الحنفية - (ج ١ / ص ٣٦).

(٢) انظر: الإصابة في معرفة الصحابة - (ج ١/ ص ٧٥)، وصحيح مسلم.

(٣) هو: عبد الله بن عون بن أرطبان المزنى، أبو عون البصرى أحد الأعلام، قال هشام بن حسان: لم تر عيناى مثله. وقال الأوزاعى: إذا مات ابن عون وسفيان استوى الناس . ت ١٥٠ هـ. السير٦-٣٦٤.

على صوتها[1].

هذه أفعالهم في بر الأمهات، وأين نحن من هذه الأفعال؟!
نسأل الله عز وجل أن يعفو عنا، وأن يغفر لنا تقصيرنا، إنه ولى ذلك والقادر عليه. وصلِّ اللهم على محمد النبي الأمى وعلى اله وصحبه وسلم.

* * *

---

(١) انظر: الطبقات الكبرى للشعراني - (ج ١ / ص ٦٢).

المبحث الخامس
ولد صالح يدعو له

أخرج الترمذي بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، وَعِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، وَوَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ**[1]. وقال:هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

قال الشيخ أبو إسحاق الحويني- حفظه الله-: خص الولد بالصلاح يثبت الوصف للصلاح وينتفي عما عداه.

فهذا يعني أن الولد الفاسد لا ينفع والده، طالما قيّد الحكم بوصف: «**ولدٍ صَالِحٍ**»، ولو قال: «**ولدٍ**» وسكت، ولم يقيّده بوصف لدخل فيه كل ولد، سواء كان صالحًا أو فاسقًا أو فاسدًا [2].

فالابن الصالح ينتفع بسعي أبيه، وكذلك الأب ينتفع بسعي ولده كذلك.

---

(١) أخرجه الترمذى وصححه ٣/ ٥٣ . وصححه الألباني، والحديث في صحيح مسلم (١٦٣١) بلفظ: «صدقة جارية، أو علم ...» إلخ.

(٢) دروس للشيخ أبي إسحاق الحوينى١-٣.

وقال ابن كثير:فهذه الثلاثة في الحقيقة هي من سعيه وكدِّه وعمله، كما جاء في الحديث: «**إِنَّ مِنْ أَطْيَبِ مَا أَكَلَ الرَّجُلُ مِنْ كَسْبِهِ، وَإِنَّ وَلَدَهُ مِنْ كَسْبِهِ**»(١).

والصدقة الجارية كالوقف ونحوه هي من آثار عمله ووقفه، وقد قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمْ ﴾ [سورة يس: ١٢].

والعلم الذي نشره في الناس فاقتدى به الناس بعده وانتفعوا به، هو أيضا من سعيه وعمله، وثبت في «الصحيح»(٢): «**مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا**»(٣).

وورد عن النبي ﷺ أنه قال: «**إِنَّ الرَّجُلَ لَتُرْفَعُ دَرَجَتُهُ فِي الْجَنَّةِ**

---

(١) أخرجه النسائي من حديث عائشة رضى الله عنها باب الحث على الكسب ٧/ ٢٤٠، وصححه الألباني.

(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه من حديث أبى هريرة ٤/ ٢٠٦٠.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير٧/ ٤٦٥.

فَيَقُولُ: أَنَّى هَذَا ؟ فَيُقَالُ: بِاسْتِغْفَارِ وَلَدِكَ لَكَ»(١).

و قال الشيخ مصطفى العدوي- حفظه الله- فى دروسه: فى تفسير قوله تعالى: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ [النجم: ٣٩]. فيه استثناءات وإضافات، وله إيضاحات، فقد ينتفع الرجل بسعي غيره، فإن الرجل قد يحج عن الآخر فينتفع بحجه، والرجل قد يتصدق عن الآخر فينتفع بصدقته، والرجل قد يدعو للآخر فينتفع بدعائه، والرجل قد يسدد الدين عن الآخر فيجزئ سداد الدين عنه، والرجل قد يشفع في الآخر فتقبل شفاعته فيه، وقد أورد بعض أهل العلم ما يقارب سبعة وعشرين وجهًا لاستفادة الشخص بسعي غيره، كلها بأدلة من الكتاب والسنة.

ويقول سبحانه: ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ ﴾ [الطور:٢١]. ما المراد بالذرية؟ هل الذرية المراد بها الأبناء فحسب أم المراد بها التسلسل؟ أحيانًا يذكر الذرية ويراد بها أبناء الشخص فحسب، ذريتك هم أبناؤك، وأحيانًا تمتد الذرية إلى أحفاد أحفاد

---

(١) أخرجه بن ماجه من حديث أبي هريرة، كتاب الأدب ٤/ ٦٣١. وحسنه ابن عبد البر والعراقي، وصححه الألباني.

الأحفاد، كما قال الله لنا: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ [الإسراء:٣]. وبيننا وبينهم قرون كثيرة، فقوله سبحانه: ﴿وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ﴾ [الطور:٢١]. هل المراد بها الذرية المتسلسلة إلى قيام الساعة أو المراد بالذرية الأبناء؟ الظاهر أنه الثاني، والله سبحانه وتعالى أعلم، وإلا لاستوى أهل الصلاح كلهم في الفضل يوم القيامة، إذ كلهم يرجعون إلى المحمولين مع نوح، والمحمولون مع نوح عليه السلام في درجة عالية من الجنة، فلو قلنا بتسلسل الذرية إلى الأحفاد وأحفاد الأحفاد لاشترك الجميع في المنزلة، ولكن الذي يبدو ويظهر أن المراد بالذرية هنا هم الأولاد، والله سبحانه وتعالى أعلم.

وقوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور: ٢١]. ﴿وَمَا أَلَتْنَاهُم﴾ أي: وما أنقصناهم، بل كلٌّ مرتهن بعمله وبكسبه(١).

وأما وصول ثواب الصدقة، ففي «الصحيحين»: عن

(١) انظر: سلسلة التفسير للشيخ مصطفى العدوى.

عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أن رجلا أتى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، إن أمي افُتلتت نفسها، ولم توص، وأظنها لو تكلمت تصدقت، أفلها أجر إن تصدقت عنها ؟ **قال:** «**نعم**»(١).

قوله: « افتلتت نفسها » أى: أُخذت نفسها فجأة، يقال: افتلت الشيء، إذا أخذته فجأة.

قال ابن المنذر: وفى ترك النبى ﷺ إنكار فعل المرأة التى افتلتت نفسها حين ماتت ولم توصِ؛ دليل على أن تارك الوصية غير عاص لله؛ إذ لو كان فرضًا لأخبر النبى ﷺ أنها قد تركت فرضًا، وأما قضاء الدين عن الميت فما لزم الذمة فلا خلاف فى قضائه عن الميت، وما لزم البدن ففيه الخلاف عن العلماء(٢).

وفي صحيح البخاري، عن ابنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ تُوُفِّيَتْ أُمُّهُ وَهُوَ غَائِبٌ عَنْهَا فَأَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ أُمِّى تُوُفِّيَتْ وَأَنَا غَائِبٌ عَنْهَا أَيَنْفَعُهَا إِنْ تَصَدَّقْتُ عَنْهَا؟

---

(١) رواه البخاري - كتاب الجنائز - باب موت الفجأة (١٢٩٩)، ومسلم - كتاب الزكاة - باب وصول ثواب الصدقة عن الميت إليه (١٦٧٢).

(٢) انظر: شرح البخاري لابن بطال١٥/ ١٩٠.

قَالَ:« نَعَمْ ». قَالَ: فَإِنِّى أُشْهِدُكَ أَنَّ حَائِطِى الْمِخْرَافَ صَدَقَةٌ عَنْهَا(1).

وأمثال ذلك كثيرة في السنة.

وأما وصول ثواب الصوم، ففي «الصحيحين» عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **«مَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ صِيَامٌ صَامَ عَنْهُ وَلِيُّهُ»**(2). وله نظائر في «الصحيح».

وأما وصول ثواب الحج، ففي «صحيح البخاري» عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ امْرَأَةً مِنْ جُهَيْنَةَ جَاءَتْ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَتْ: إِنَّ أُمِّي نَذَرَتْ أَنْ تَحُجَّ فَلَمْ تَحُجَّ حَتَّى مَاتَتْ أَفَأَحُجُّ عَنْهَا؟ قَالَ: **«نَعَمْ حُجِّي عَنْهَا أَرَأَيْتِ لَوْ كَانَ عَلَى أُمِّكِ دَيْنٌ، أَكُنْتِ قَاضِيَةً؟ اقْضُوا اللَّهَ فَاللَّهُ أَحَقُّ بِالْوَفَاءِ »**(3). ونظائره أيضا كثيرة.

---

(1) رواه البخاري - كتاب الوصايا - باب إذا قال: أرضي أو بستاني صدقة عن أمي. فهو جائز (٢٥٥١).

(2) رواه البخاري، كتاب الصوم باب من مات وعليه صوم (١٨١٦)، ومسلم - كتاب الصيام - باب قضاء الصيام عن الميت (١٩٣٥).

(3) رواه البخاري، كتاب الحج، باب الحج والنذور عن الميت، والرجل يحج عن المرأة (١٧٢٠).

وأجمعوا على أن الحي إذا كان له في ذمة الميت حق من الحقوق فأحله منه أنه ينفعه ويبرأ منه، كما يسقط ذمة الحي، فإذا انتفع بالإبراء والإسقاط فكذلك ينتفع بالهبة والإهداء(١).

قال شارح «الطحاوية»: وكل ذلك جارٍ على قواعد الشرع، وهو محض القياس، فإن الثواب حق العامل، فإذا وهبه لأخيه المسلم لم يمنع من ذلك، كما لم يمنع من هبة ماله له في حياته وإبرائه له منه بعد وفاته(٢).

وقال ابن القيم: وبالجملة فأفضل ما يهدى إلى الميت العتق، والصدقة، والاستغفار له، والدعاء له، والحج عنه(٣).

اللهم اغفر لحيينا وميتنا، وشاهدنا وغائبنا، وكبيرنا وصغيرنا، اللهم من أحييته منا فأحيه على الإسلام، ومن توفيته منا فتوفَّه على الإيمان.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

(١) انظر: مباحث في العقيدة لأبي محمد الطيار ١٩/ ٥٦.

(٢) انظر: شرح الطحاوية في العقيدة السلفية (٣/ ١٠٤).

(٣) انظر: كتاب الروح لابن القيم ص٢٢٤.

المبحث السادس

حب الوالد لولده

لقد فطر الله تعالى الإنسانية على حب الولد والذرية، لقوله تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٤٦]، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ [النحل: ٧٢]، وقال تعالى على لسان زكريا عليه الصلاة والسلام: ﴿فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾ [مريم : ٥]، وقال تعالى: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ [آل عمران: ٣٨]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّـٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ [الفرقان: ٧٤].

أخرج البخاري فى «صحيحه» من حديث عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَبَّلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ وَعِنْدَهُ الأَقْرَعُ ابْنُ حَابِسٍ التَّمِيمِيُّ(١) جَالِسًا، فَقَالَ الأَقْرَعُ: إِنَّ لِي عَشَرَةً مِنَ الْوَلَدِ

---

(١) أحد المؤلَّفة قلوبُهُم وأحد الأشراف، أقطعه أَبُو بكر هو وعُيَيْنَة بْن بدر، فعطَّل عليهما عمرُ ومحا الكتاب الَّذِي كتب لهما أَبُو بكر، وكانا من كبار قومهما، وشهد الأقرع مع خالد حرب أهل العراق وكان على المقدِّمة.

مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا. فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ. ثُمَّ قَالَ: «**مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ**»(١).

وأخرج أيضًا بسنده عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: تُقَبِّلُونَ الصِّبْيَانَ! فَمَا نُقَبِّلُهُمْ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَوَ أَمْلِكُ لَكَ أَنْ نَزَعَ اللَّهُ مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ؟**»(٢).

وعنه أيضًا بسنده عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ سَبْيٌ فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ قَدْ تَحَلَّبَ ثديُها تَسْقِي، إِذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبْيِ أَخَذَتْهُ فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ فَقَالَ لَنَا النَّبِيُّ ﷺ: «**أَتَرَوْنَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ؟**» قُلْنَا: لَا، وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لَا تَطْرَحَهُ، فَقَالَ: «**اللَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا**»(٣).

***

---

(١) انظر: صحيح البخارى، كتاب الأدب (رقم ٥٩٩٧).

(٢) انظر: صحيح البخارى، كتاب الأدب (رقم ٥٩٩٨).

(٣) انظر: صحيح البخارى، كتاب الأدب (رقم ٥٩٩٩).

واجب الآباء لدى الأبناء

قال الشيخ محمد المنجد- حفظه الله- في دروسه[1]:

أولًا: حسن اختيار الأم،وكذا حسن اختيار الأب،فالنبي ﷺ حث كل مقبل على الزواج أن يظفر بذات الدين مهما استطاع إلى ذلك سبيلًا؛ لأن ذات الدين هي نعم العون للزوج على طاعة ربه، ونعم العون له على تربية أبنائه، لقول النبي ﷺ: «**تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لأَرْبَعٍ؛ لِمَالِهَا وَلِحَسَبِهَا وَجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ**»[2]. متفق عليه.

وقال ﷺ: «**الدُّنْيَا كُلُّها مَتَاعٌ وَخَيْرُ مَتَاعِها المَرْأَةُ الصَّالِحَةُ**». رواه أحمد، ومسلم، والنسائي، وابن ماجه، من حديث ابن عمرو[3].

وحث ولي المرأة على حسن اختيار الزوج لموليته، ففي

---

(١) انظر: دروس للشيخ محمد المنجد (٢١/ ٩، بترقيم الشاملة آليًّا).

(٢) لفظ البخارى من حديث أبي هريرةج٧ ص٩ كتاب بدء الوحى.

(٣) رواه أحمد (٢/ ١٦٨)، مسلم (٢/ ١٠٩٠/ ١٤٦٧)، النسائي (٦/ ٣٧٧/ ٣٢٣٢)، وابن ماجه (١/ ٥٩٦/ ١٨٥٥).

الحديث « **إِذَا خَطَبَ إِلَيْكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَزَوِّجُوهُ، إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ** »(١).

ثانيًا: حث النبي ﷺ الرجل إذا أراد أن يأتي أهله أن يقول باسم الله، اللهم جنبنا الشيطان، وجنب الشيطان ما رزقتنا. فعن ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَ أَهْلَهُ فَقَالَ: بِاسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا. فَإِنَّهُ إِنْ يُقَدَّرْ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ فِي ذَلِكَ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْطَانٌ أَبَدًا**»(٢).

ثالثًا: من حقوقه حسن اختيار الاسم، فالاسم الحسن له تأثير حسن على صاحبه، والاسم السيئ له تأثير سيئ على صاحبه، قال ﷺ: «**أَحَبُّ الْأَسْمَاءِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى عَبْدُ اللَّهِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ**»(٣).

وجاءت السنة القولية والعملية عن النبي ﷺ بكراهة الاسم

---

(١) أخرجه الترمذى٤/ ٣٦٥ من حديث أبي هريرة رضى الله عنه.وحسنه الألباني.

(٢) أخرجه البخاري ص٩/ ج١٤٦.

(٣) أخرجه أبو داود من حديث ابن عمر رقم ٤٩٤٩ . وصححه الألباني.

الذي يحمل معنى بغيضا،أو يحمل معنى يدل على تزكية صاحبه ونحوه، كما جاءت السنة بتحريم الأسماء المعبّدة لغير الله ووجوب تغييرها.

رابعًا: تعلمهم إذا بلغوا سن التمييز ما يطيقون من صفة الطهارة والصلاة وسورة «الفاتحة» وما تيسر من قصار السور وشيئًا من آداب الأكل والشرب واللباس والنوم والاستيقاظ ونحو ذلك مما يطيقونه ويستوعبونه، ثم تتدرج معهم شيئًا فشيئًا، قال ﷺ: **«مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ»**(١).

ويربى الابن على المحافظة على صلاة الجماعة وعلى لبس الثوب فوق الكعبين، وعلى إكرام الضيف ونحو ذلك من الآداب.

وتربى البنت على الصلاة في بيتها، وعلى الحجاب، وعلى لبس الثياب الساترة والبعد عن مخالطة الرجال حتى لا تصل سن البلوغ أو تقاربها إلا وقد تقررت هذه الآداب في نفسها.

---

(١) أخرجه أبو داود ١/ ١٣٣ من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده. وصححه الألباني.

لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]. قَالَ قتادة: مُرُوهُمْ بِطَاعَةِ اللهِ، وَانْهَوْهُمْ عَنْ مَعْصِيَةِ اللهِ(١).

وقال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أي: أدبوهم وعلموهم.

خامسًا: تأديبهم وتعليمهم وتربيتهم على مكارم الأخلاق ومحاسنها، بأن تعلمهم توحيد رب العالمين، أنه لا يعبد إلا الله، ولا يلتجأ إلا إليه، ولا يطلب النفع إلا منه، ولا يستدفع الضر إلا به.

سادسًا: الدعاء لهم بالخير، فإن الدعاء من أقوى الأسباب في تحقيق المطالب ونيل المآرب قال تعالى عن زكريا: ﴿قَالَ رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةٗ طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ [آل عمران: ٣٨]. فلم يطلب الذرية فقط وإنما طلب ذرية طيبة صالحة تخاف الله وترجو ثوابه.

وقال تعالى عن عباد الرحمن الموعودين بالغرف والجنان أن

(١) انظر: الحاوى فى تفسير القرآن الكريم٦٤/ ٧٧٣.

من هديهم وآدابهم دعاءهم ربهم قائلين: ﴿رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤] كما أخبرنا عن عباده الصالحين الموعودين بقبول حسناتهم وغفران سيئاتهم أن من دعائهم طلب صلاح الذرية فقال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗ قَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَصۡلِحۡ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓۖ إِنِّي تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [الأحقاف:١٥].

ففي هذه الآيات تعليم وإرشاد لنا أن ندعو لأبنائنا بالصلاح والهداية والاستقامة(١).

* * *

---

(١) انظر: أرشيف المجلس العلمي - من موقع الألوكة (٢١٥٩٣/ ٢)، دروس للشيخ محمد المنجد (٢١/ ٩، بترقيم الشاملة آليا).

المبحث السابع

بِرِّ الْوَالِدَيْنِ بَعْدَ مَوْتِهِمَا

أخرج البخاري فى «الأدب» قال: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ، عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: تُرْفَعُ لِلْمَيِّتِ بَعْدَ مَوْتِهِ دَرَجَتُهُ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَيُّ شَيْءٍ هَذِهِ ؟ فَيُقَالُ: وَلَدُكَ اسْتَغْفَرَ لَكَ[1].

وعنه أيضًا قال: حَدَّثَنَا مُوسَى قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَّامُ بْنُ أَبِي مُطِيعٍ، عَنْ غَالِبٍ قَالَ: قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سِيرِينَ: كُنَّا عِنْدَ أَبِي هُرَيْرَةَ لَيْلَةً، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأَبِي هُرَيْرَةَ، وَلِأُمِّي، وَلِمَنِ اسْتَغْفَرَ لَهُمَا. قَالَ لِي مُحَمَّدٌ: فَنَحْنُ نَسْتَغْفِرُ لَهُمَا حَتَّى نَدْخُلَ فِي دَعْوَةِ أَبِي هُرَيْرَةَ[2].

وعنه أيضًا قال: حَدَّثَنَا أَبُو الرَّبِيعِ قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ جَعْفَرٍ قَالَ: أَخْبَرَنَا الْعَلَاءُ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **«إِذَا مَاتَ الْعَبْدُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ**

---

(١) انظر: الأدب المفرد (ص: ٢٨) وحسنه الألباني .

(٢) انظر: الأدب المفرد (ص: ٢٨) وصححه الألباني.

يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»(١).

وعنه أيضًا قال: حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْغَسِيلِ قَالَ: أَخْبَرَنِي أُسَيْدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ عُبَيْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا أُسَيْدٍ يُحَدِّثُ الْقَوْمَ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ بَقِيَ مِنْ بِرِّ أَبَوَيَّ شَيْءٌ بَعْدَ مَوْتِهِمَا أَبَرُّهُمَا؟ قَالَ: «**نَعَمْ، خِصَالٌ أَرْبَعٌ: الدُّعَاءُ لَهُمَا، وَالِاسْتِغْفَارُ لَهُمَا، وَإِنْفَاذُ عَهْدِهِمَا، وَإِكْرَامُ صَدِيقِهِمَا، وَصِلَةُ الرَّحِمِ الَّتِي لَا رَحِمَ لَكَ إِلَّا مِنْ قِبَلِهِمَا**»(٢).

وروى أبو نعيم في «الحلية» من طريق قتادة عن أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ، قال: «**سبع يجري أجرها للعبد بعد موته وهو في قبره: من علم علمًا، أو أجرى نهرًا، أو حفر بئرًا، أو غرس نخلًا، أو بنى مسجدًا، أو ورث مصحفًا، أو ترك ولدًا يستغفر له**»(٣).

هذا حَدِيث غريب من حديث قتادة تفرد به أبو نعيم عن العرزمي.

---

(١) انظر: الأدب المفرد (ص: ٢٨)، وصححه الألباني، وهو في صحيح مسلم (رقم ١٦٣١).

(٢) انظر: الأدب المفرد (ص: ٢٨) وضعفه الألباني «الضعيفة» (٥٩٧).

(٣) انظر: حلية الأولياء ٢/ ٣٤٤.

وأخرج أبو داود فى «سننه» عن سهل بن معاذ الجهني عن أبيه أن رسول الله ﷺ **قال: «من قرأ القرآن وعمل بما فيه ألبس والداه تاجا يوم القيامة ضوءه أحسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا لو كانت، فيكم فما ظنكم بالذي عمل بهذا؟»**(١).

وأخرج البخاري فى «الأدب المفرد» من حديث يَسَرَةَ بْنِ صَفْوَانَ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ، عَنْ عَمْرٍو، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ أُمِّي تُوُفِّيَتْ وَلَمْ تُوصِ، أَفَيَنْفَعُهَا أَنْ أَتَصَدَّقَ عَنْهَا ؟ **قَالَ: « نَعَمْ »**(٢).

عَرْضِ الإِسْلَامِ عَلَى الْأُمِّ النَّصْرَانِيَّةِ

أخرج البخاري فى «الأدب» عن أَبِي الْوَلِيدِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِالْمَلِكِ قَالَ: حَدَّثَنَا عِكْرِمَةُ بْنُ عَمَّارٍ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو كَثِيرٍ السُّحَيْمِيُّ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: مَا سَمِعَ بِي أَحَدٌ، يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ، إِلَّا أَحَبَّنِي، إِنَّ أُمِّي كُنْتُ أُرِيدُهَا عَلَى الإِسْلَامِ فَتَأْبَى، فَقُلْتُ لَهَا، فَأَبَتْ،

---

(١) ضعيف. انظر ضعيف الجامع الصغير (٥٧٦٢)، المشكاة (٢١٣).

(٢) انظر: الأدب المفرد (ص: ٢٩) وصححه الألباني.

فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقُلْتُ: ادْعُ اللهَ لَهَا، فَدَعَا، فَأَتَيْتُهَا وَقَدْ أَجَافَتْ عَلَيْهَا الْبَابَ، فَقَالَتْ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، إِنِّي أَسْلَمْتُ، فَأَخْبَرْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقُلْتُ: ادْعُ اللهَ لِي وَلِأُمِّي، فَقَالَ: «**اللَّهُمَّ، عَبْدُكَ أَبُو هُرَيْرَةَ وَأُمُّهُ، أَحِبَّهُمَا إِلَى النَّاسِ**»(١).

الْبِرُّ بِالْوَالِدَيْنِ فَرْضُ عَيْنٍ كَمَا سَبَقَ بَيَانُهُ، وَلَا يَخْتَصُّ بِكَوْنِهِمَا مُسْلِمَيْنِ، بَل حَتَّى لَوْ كَانَا كَافِرَيْنِ يَجِبُ بِرُّهُمَا وَالإِحسَانُ إِلَيْهِمَا مَا لَمْ يَأْمُرَا ابْنَهُمَا بِشِرْكٍ أَوِ ارْتِكَابِ مَعْصِيَةٍ؛ لقَوله تَعَالَى: ﴿ **لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ** ﴾[الممتحنة: ٨].

فَعَلَيْهِ أَنْ يَقُول لَهُمَا قَوْلًا لَيِّنًا لَطِيفًا دَالًّا عَلَى الرِّفْقِ بِهِمَا وَالْمَحَبَّةِ لَهُمَا، وَيَجْتَنِبَ غَلِيظَ الْقَوْلِ الْمُوجِبِ لِنُفْرَتِهِمَا، وَيُنَادِيَهُمَا بِأَحَبِّ الأَلْفَاظِ إِلَيْهِمَا، وَلْيَقُل لَهُمَا مَا يَنْفَعُهُمَا فِي أَمْرِ دِينِهِمَا وَدُنْيَاهُمَا، وَلَا يَتبَرَّمَ بِهِمَا بِالضَّجَرِ وَالْمَلَل وَالتَّأَفُّفِ، وَلا يَنْهَرَهُمَا، وَلْيَقُل لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا.

---

(١) انظر: الأدب المفرد (ص: ٢٧) وصححه الألباني.

وَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ» عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِى بَكْرٍ - رضى الله عنهما - قَالَتْ قَدِمَتْ عَلَيَّ أُمِّى وَهِىَ مُشْرِكَةٌ، فِى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَاسْتَفْتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ قُلْتُ: إِنَّ أُمِّى قَدِمَتْ وَهِىَ رَاغِبَةٌ، أَفَأَصِلُ أُمِّى قَالَ: « **نَعَمْ صِلِى أُمَّكِ** »(١).

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى عَنْهَا قَالَتْ: أَتَتْنِي أُمِّي رَاغِبَةً فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ فَسَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَأَصِلُهَا ؟ قَال: «**نَعَمْ**».

قَال ابْنُ عُيَيْنَةَ: فَأَنْزَل اللهُ عَزَّ وَجَل فِيهَا ﴿ **لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ** ﴾ [الممتحنة: ٨].

وَفِي هَذَا الْمَقَامِ قَال اللهُ تَعَالَى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [العنكبوت: ٨]. قِيل: نَزَلَتْ فِي سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، فعَنْ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ، قَالَ: قَالَ سَعْدُ بْنُ مَالِكٍ: نَزَلَتْ فِيَّ ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾ قَالَ: لَمَّا أَسْلَمْتُ،

---

(١) أخرجه البخارى فى الصحيح كتاب الأدب (رقم ٥٩٧٨، ٥٩٧٩).

حَلَفَتْ أُمِّي لَا تَأْكُلُ طَعَامًا وَلَا تَشْرَبُ شَرَابًا، قَالَ: فَنَاشَدْتُهَا أَوَّلَ يَوْمٍ، فَأَبَتْ وَصَبرَتْ؛ فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الثَّانِي نَاشَدْتُهَا، فَأَبَتْ؛ فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الثَّالِثُ نَاشَدْتُهَا فَأَبَتْ، فَقُلْتُ: وَاللهِ لَوْ كَانَتْ لَكِ مِائَةُ نَفْسٍ لَخَرَجَتْ قَبْلَ أَنْ أَدَعَ دِينِي هَذَا. فَلَمَّا رَأَتْ ذَلِكَ، وَعَرَفَتْ أَنِّي لَسْتُ فَاعِلًا أَكَلَتْ (١).

هَذَا وَفِي الدُّعَاءِ بِالرَّحْمَةِ الدُّنْيَوِيَّةِ لِلْوَالِدَيْنِ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ حَال حَيَاتِهِمَا خِلَافٌ ذَكَرَهُ الْقُرْطُبِيُّ.

أَمَّا الاِسْتِغْفَارُ لَهُمَا فَمَمْنُوعٌ، اسْتِنَادًا إِلَى قَوْله تَعَالَى: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴾ [التوبة: ١١٣].

فَإِنَّهَا نَزَلَتْ فِي اسْتِغْفَارِهِ ﷺ لِعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ وَاسْتِغْفَارِ بَعْضِ الصَّحَابَةِ لأَبَوَيْهِ الْمُشْرِكَيْنِ، وقال: وَانْعَقَدَ الإِجْمَاعُ عَلَى عَدَمِ الاِسْتِغْفَارِ لَهُمَا بَعْدَ وَفَاتِهِمَا وَحُرْمَتِهِ، وَعَلَى عَدَمِ التَّصَدُّقِ عَلَى رُوحِهِمَا.

---

(١) انظر: تفسير الطبري ٢٠-١٣٨.

أَمَّا الاسْتِغْفَارُ لِلأبَوَيْنِ الْكَافِرَيْنِ حَال الْحَيَاةِ فَمُخْتَلَفٌ فِيهِ؛ إِذْ قَدْ يُسْلِمَانِ(١).

الولاء والبراء لله ولرسوله ﷺ

أخرج ابن حبان في «صحيحه» عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: مَرَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ أُبَيٍّ ابْنِ سَلُولَ وَهُوَ فِي ظِلِّ أَجَمَةٍ، فقَالَ: قَدْ غَبَّرَ عَلَيْنَا ابْنُ أَبِي كَبْشَةَ، فقَالَ ابْنُهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ اللهِ: وَالَّذِي أَكْرَمَكَ، وَالَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ، لَئِنْ شِئْتَ لَآتِيَنَّكَ بِرَأْسِهِ، فقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا، وَلَكِنْ بَرَّ أَبَاكَ، وَأَحْسِنْ صُحْبَتَهُ**»(٢).

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَبُو كَبْشَةَ هَذَا وَالِدُ أُمِّ أُمِّ رَسُولِ اللهِ ﷺ، كَانَ قَدْ خَرَجَ إِلَى الشَّامِ، فَاسْتَحْسَنَ دِينَ النَّصَارَى، فَرَجَعَ إِلَى

---

(١) انظر: الأدب المفرد (ص: ٢٤).

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه ٢-١٧٠. وحسنه الألباني الصحيحة (٣٢٢٣).

قُرَيْشٍ وَأَظْهَرَهُ، فَعَاتَبَتْهُ قُرَيْشٌ حَيْثُ جَاءَ بِدِينٍ غَيْرِ دِينِهِمْ، فَكَانَتْ قُرَيْشٌ تُعَيِّرُ النَّبِيَّ ﷺ، وَتَنْسِبُهُ إِلَيْهِ، يَعْنُونَ بِهِ أَنَّهُ جَاءَ بِدَيْنٍ غَيْرِ دِينِهِمْ، كَمَا جَاءَ أَبُو كَبْشَةَ بِدَيْنٍ غَيْرِ دِينَهِمْ.

❊ ❊ ❊

المبحث الثامن

مواعظ الآباء للأبناء[1]

قال لُقمانُ لابنه: إذا أتيت مجلسَ قومٍ فارمهِمْ بسَهْم السلام ثم اجلس، فإن أفاضوا في ذِكر اللهّ فأَجِلْ سَهمْك مع سِهامهم، وإن أفاضوا في غير ذلك فتَخَلَّ عنهم وانهض.

وقال: يا بني، استَعِذ باللّه من شِرَار الناس، وكُنْ من خِيارهم على حَذَر.

ومثلُ هذا قولُ أكثَم بن صَيْفي: احذر الأمين، ولا تأتمن الخائن، فإنّ القُلوب بيد غيرك.

وقال لُقمان لابنه: لا تركنْ إلى الدنيا، ولا تَشْغَل قلبك بها، فإنك لم تُخْلَق لها، وما خَلَق الله خَلْقًا أهون عليه منها، فإنه لم يجعل نعيمَها ثوابًا للمُطيعين، ولا بلاءَها عُقوبة للعاصين.

يا بني، لا تضحك من غير عجب، ولا تَمْش في غير أرب، ولا تسأل عما لا يَعْنيك.

يا بني، لا تُضَيِّع مالَك وتُصلِحْ مالَ غيرك، فإنّ مالَك ما قدَّمت،

---

(١) نقلًا عن ابن عبد ربه الأندلسي في «العقد الفريد».

ومالَ غيرك ما تركت.

يا بني، إنه من يَرْحم يُرْحَم، ومن يَصْمُت يَسْلم، ومن يَقُل الخير يَغْنَم، ومَنْ يقُل الباطل يأثَم، ومن لا يملك لِسانَه ينْدم.

يا بني، زاحم العلماء برُكْبتَيْك، وأنصت إليهم بأذنَيك، فإِنّ القلب يَحيا بنُور العُلماء كما تحيا الأرض المَيتة بمطر السماء.

يا بني، ارج الله رجاءً لا تأمن فيه مَكْرَه، وخف الله مخافة لا تيأس بها من رحمته.

يا بني، أكثر من قول: رب اغفر لي، فإن لله ساعة لا يُردُّ فيها سائل.

يا بني، إن العمل لا يستطاع إلا باليقين، ومن يضعف يقينه يضعف عمله.

يا بني، إذا جاءك الشيطان من قبل الشك والريبة فاغلبه باليقين، وإذا جاءك من قبل السآمة فاغلبه بذكر القبر والقيامة، وإذا جاءك من قبل الرغبة والرهبة فأخبره أن الدنيا مفارقةٌ متروكة.

يا بني، اتخذ تقوى الله تجارةً، يأتيك الربح من غير بضاعة.

يا بني، إياك والكذب، فإنه شهي كلحم العصفور، عما قليل

يقلى صاحبه.

يا بني، لا تأكل شبعًا على شبع، فإنك إن تلقه للكلب خيرٌ من أن تأكله.

يا بني، لا تكن حلوًا فتبلع، ولا مرًّا فتلفظ.

يا بني، لا تؤخر التوبة فإن الموت يأتي بغتة.

يا بني، اتق الله، ولا تُر الناس أنك تخشى الله ليكرموك بذلك وقلبك فاجر.

يا بني، ما ندمت على الصمت قط، وإن كان الكلام من الفضة كان السكوت من الذهب.

يا بني، اعتزل الشر كيما يعتزلك، فإن الشر للشر خلق.

يا بني، ليكن لك علو الهمة في طلب الجنة والعزم للشهادة في سبيل الله.

يا بني، اختر المجالس على عينك، فإذا رأيت المجلس يُذكرُ الله عز وجل فيه فاجلس معهم، فإنك إن تك عالمًا ينفعك علمك، وإن تك عييًّا يعلموك، وإن يطلع الله عز وجل إليهم برحمة تصبك معهم.

يا بني، انصب رايتك راية الحق، ورباطك في سبيل الله خير من خير الدنيا.

يا بني، انزل نفسك منزلة من لا حاجة له بك ولا بدَّ لك منه.

يا بني، إن الحكمة أجلست المساكين مجالس الملوك.

يا بني، جالس العلماء وزاحمهم بركبتك، فإن الله ليحيي القلوب الميتة بنور الحكمة كما يحيي الأرض الميتة بوابل السماء.

يا بني، امتنع مما يخرج من فيك، فإن ما سكتَّ سالم، وإنما ينبغي لك من القول ما ينفعك.

يا بني، إنك منذ نزلت إلى الدنيا استدبرتها واستقبلت الأخرى. فدارٌ أنت إليها تسير أقرب من دارٍ أنت عنها تباعد.

يا بني، إياك والدَّين، فإنه ذلُّ النهار همّ الليل.

يا بني، لا يأكل طعامك إلا الأتقياء، وشاور في أمرك الحكماء.

يا بني، من كذب ذهب ماء وجهه، ومن ساء خلقه كثر غمه.

يا بني، اعلم بأن الجهاد ذروة سنام الإسلام.

وقال خالدُ بن صَفْوان لابنه: كُن أحسنَ ما تكون في الظاهر حالًا، أقلّ ما تكون في الباطن مآلًا، ودَعْ من أعمال السرِّ ما لا

يَصْلُح لك في العلانِيَة.

وقال أعرابي لابنه: يا بني، إنه قد أَسْمَعك الدَّاعي، وأعذر إليك الطالب، وانتهى الأمرُ فيك إلى حَدّه، ولا أعرِفُ أعظمَ رزيّة ممن ضَيَّعَ اليقين وأَخْطأه الأمَلُ.

وقال حكيم لبنيه: يا بني، إياكم أن تكونوا بالأحداث مُغْتَرين، ولها آمنين، فإني واللّه ما سَخِرْت من شيء إلا نزل بي مثله، فاحذَروها وتوقَّعوها، فإنما الإنسان في الدُّنيا غرَضٌ تتَعاوره السِّهام، فمُجَاوزٌ له ومُقصِّر عنه وواقع عن يمينه وشماله، حتى يُصيبه بعضها؛ واعلموا أن لكل شيء جزَاءً ولكل عمل ثوابًا.

وقد قالوا: كما تَدِين تُدَان ، ومن بَرِّ يومًا بُرَّ به.

وقال الشاعر:

إذا ما الدَّهر جرَّ على أُناس حوادثَه أناخَ بآخَرينَا

فقُلْ للشّامتين بنا أَفيقوا سَيَلقى الشامِتون كما لقِينا

وقال حكيم لابنه: يا بني، إني مُوصيك بوصيّة، فإن لم تحفظ وصيتي عنّي لم تَحْفَظها عنِ غيري: اتّق الله ما استطعتَ، وإن قَدَرْت أن تكون اليومَ خيرًا منك أمس وغدًا خيرًا منك اليومَ فافعل،

وإياك والطمعَ فإنه فَقْرٌ حاضِر، وعليك باليأسِ فإنك لن تيأسِ من شيء قطُّ إلا أغناك الله عنه، وإياك وما يُعْتَذر منه فإنك لن تَعْتذر من خير أبدًا، وإذا عَثر عاثر فاحمد الله ألا تكون هو.

يا بني، خذِ الخيرَ من أهله، ودع الشرَّ لأهله، وإذا قُمتَ إلى صَلاتك فَصلِّ صلاة مُوَدع، وأنت ترَى ألا تُصَلِّي بعدها أ بدًا.

وقال عليُّ بن الحُسن عليهما السلام لابنه: يا بني، إن الله لم يَرْضَك لي فأَوْصاك بي، ورَضيَنى لك فَحَذَّرَني منك، واعلم أَنّ خيرَ الآباء للأبناء مَن لم تَدْعُه المودة إلى التفريط فيه، وخيرَ الأبناء للآباء من لم يَدْعُه التقصيرُ إلى العُقوق له.

وقال حكيم لابنه: يا بني، إن أشدَّ الناس حسرةً يومَ القيامة رجلٌ كَسَب مالًا من غير حِلّه فأدخله النارَ، وأوْرَثه مَنْ عَمِل فيه بطاعة الله فأدخله الجنة.

وعن عَمْرو بن عُتْبَة قال: لما بلغتُ خمسَ عشرةَ سنة قال لي أبي: يا بني، قد تَقَطعَتْ عنك شرائع الصِّبَا فالزَم الحياء تكن من أهله، ولا تُزَايِلْه فَتَبِين منه، ولا يَغُرَّنك من اغترَّ بالله فيك فمَدحك بما تعلم خلافه من نفسك، فإنه من قال فيك من الخير ما لم يعْلَم

إذا رَضي، قال فيك من الشرّ مثلَه إذا سَخِط. فاستأنس بالوحْدَة من جُلساء السَّوء تَسْلَم من غِبّ عواقبهم.

وقال عبدَ الملك بنُ مَرْوَان لبَنيه: كُفّوا الأذى، وابذُلوا المعروف، واعْفوا إذا قَدَرْتم، ولا تَبْخَلوا إذا سئلتم، ولا تُلْحِفوا إذا سألتم، فإنه من ضيّق ضُيِّق عليه، ومن أعطى أخْلَفَ الله عليه.

وقال الأشعثُ بن قيس لبنيه: يا بني، لا تَذِلُّوا في أعراضكم، وانخدعوا في أموالكم، ولتَخِفَّ بُطونُكم من أموال الناس، وظُهوركم من دمائهم، فإنّ لكلِّ امرئ تَبِعة؛ وإياكم وما يُعتَذر منه أو يُستحى، فإنما يُعتذر من ذنب، ويستحا من عَيب؛ وأصْلِحوا المالَ لجفوة السُّلطان وتَغيُّر الزمان، وكُفُّوا عند الحاجة عن المسألَة، فإنه كَفى بالردّ مَنْعا، وأجملُوا في الطلب حتى يوافق الرِّزْق قدَرا، وامنعوا النساءَ من غير الأكْفاء، فإنكم أهلُ بَيْت يتأسى بكم الكريمُ، ويتشرَّف بكم اللئيم؛ وكونوا في عوامّ الناس ما لم يَضْطرب الحبْلُ، فإذا اضطرب الحبلُ فالحقوا بعشائركم.

وكتب عمرُ بن الخطّاب إلى ابنه عبد الله في غَيْبة غابها: أمَّا بعد، فإنّ مَنِ اتقى اللّه وَقاه، ومن اتَّكل عليه كفاه، ومن شكَرَ له زاده،

ومن أقْرَضه جَزاه؛ فاجعل التَّقوى عِمارة قلبك وجِلاءَ بَصرك، فإنه لا عمَل لمن لا نِيَّة له، ولا خيرَ لمن لا خَشْيَة له، ولا جديد لمن لا خَلَق له.

وكتب عليٌّ بن أبي طالب إلى وَلده الحَسن عليهم السلام: من عليّ أمير المؤمنين الوالدِ الفان، المقرّ للزَّمان، المَستَسْلم للحَدَثان، المُدْبر العُمر، المُؤمّل ما لا يُدْرك، السالك سبيلَ مَن قد هَلَك، غرَض الأسقام، ورهينة الأيّام، وعبْد الدنيا، وتاجر الغُرور، وأسير المنَايَا، وقرين الرَّزايا، وصريع الشهوات، ونُصْب الآفات، وخليفة الأموات.

أما بعدُ؛ يا بني، فإن فيما تَفكَّرت فيه من إدبار الدُّنيا عني، وإقبال الآخرة إليّ، وجُموح الدهر عليّ، ما يُرَغِّبني عن ذكر سواي، والاهتمام بما ورائي، غيرَ أنه حين تفرّد بي همّ نفسي دون همّ الناس، فَصدَقني رأي وصرَفني عن هواي، وصرح بي مَحْضُ أمري، فأَفْضى بي إلى جِدٍّ لا يُزْري به لَعِب، وصِدْق لا يَشوبه كَذِب، وَوَجَدْتُك يا بُنيّ بَعضي، بل وجدتُك كُلِّي، حتى كأنّ شيئًا لو أصابك لأصابني، وحتى كأنّ الموت لو أتاك أتاني، فعند ذلك عَنَاني

من أمرك ما عَنَاني من أمر نَفْسي.

كتبتُ إليك كتابي هذا يا بُني مُستظهرًا به إن أنا بَقِيت لك أو فَنِيت، فإني مُوصيك بتقوى الله وعِمَارة قلبك بذكره، والاعتصام بحَبْله، فإنَّ الله تعالى يقول: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾ [آل عمران:١٠٣] وأيُّ سبب يا بُني أوْثق من سبب بينك وبين الله تعالى إن أنت أخذت به.

أحْي قلبك بالموْعظة، ونَوِّره بالحكمة، وأَمِّنه بالزِّهْد، وذَلِّلهُ بالموت، وقَوِّهِ بالغِنَى عن الناس، وحَذِّرْه صولةَ الدَّهر، وتقلُّبَ الأيام والليالي.

وأعرض عليه أخبارَ الصالحين، وسِرْ في ديارهم وآثارهم فانظرُ ما فعلوه وأين حلُّوا، فإنك تَجِدهم قد انتقلوا عن دار الأحبّة ونزلوا دارَ الغُرْبة، وكأنك عن قليل يا بنيّ قد صرت كأحدهم، فبعْ دنياكَ بآخرتك، ولا تبعْ آخرتك بدُنياك؛ ودَع القولَ فيما لا تَعْرِف، والأمرَ فيما لا تكلّف، وأْمُر بالمعروف بيَدِك ولسانك، وَانْهَ عن المنكر بيدك ولسانك، وبايِنْ مَن فعَلَه؛ وخُض الغَمَرَاتِ للحق، ولا

تأخُذْك في الله لومةُ لائم، واحفظ وَصيَّتي ولا تَذْهَب عنك صَفْحًا، فلا خير في عِلْم لا ينفع.

واعلم أنَّ أمامك طريقًا ذا مسافة بعيدة، ومشقة شديدة، وأنه لا غِنى لك فيه عن حُسْن الارتياد، مَع بلاغك من الزَّاد.

فإن أصَبتَ من أهلِ الفاقة مَنْ يحمل عنك زادك فيُوافيك به في مَعادك فاغْتنِمه، فإن أَمامَك عَقَبَةً كَئودًا لا يُجاوزها إلا أخفُّ الناس حملا، فأَجْمل في الطلب، وأحسِن المكتسب، فرُب طَلَب قد جرَّ إلى حَرَب، وإنما المحْرُوب من حُرِبَ دِينَه، والمسلوبُ من سُلِب يقينه.

واعلم أنه لا غِنى يَعْدِل الجنَّة، ولا فقْرَ يَعْدِل النار، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

وكتب إلى ابنه محمد ابن الحنفية: أنْ تَفَقّه في الدّين، وعَوِّد نفسَك الصبر على المَكْروه، وكِلْ نَفْسَك في أمورك كلِّها إلى الله عزَّ وجلَّ، فإنك تَكِلُها إلى مانعٍ عزيزٍ. [العقد الفريد ٣/ ١٠١].

وأَخْلِص المسألة لربِّك فإنَّ بيده العَطاء والحِرمان.

وأكثر الاسْتخارة له، واعلم أنَّ من كانت مَطيّته الليلَ والنهار

فإنه يُسار به وإن كان لا يَسير، فإنَّ الله تعالى قد أبى إلا خرابَ الدنيا وعمارة الآخرة. فإن قَدرتَ أن تَزْهد فيها زُهْدَك كلّه فافعل ذلك، وإن كنتَ غير قابل نَصِيحتي إيَّاك، فاعلَم عِلْمًا يَقِينًا أنك لن تَبْلُغ أملك، ولن تَعْدو أجلك، وأنك في سَبيل مَن كان قَبْلك، فأكْرم نفسَك عن كل دَنِيَّة، وإن ساقتك إلى الرغائب، فإنك لن تَعتاض بما تَبْذُلُ من نفسك عوضًا.

وإيّاك أن تُوجِف بك مَطايا للطمع وتقول: متى ما أُخِّرت نزعتُ، فإنَّ هذا أهْلَك مَن هَلك قَبْلك.

وأمسِك عَليك لسانك، فإنَّ تَلافِيكَ ما فرط من صَمْتك أيْسر عليك من إدراك ما فات من مَنْطقك، واحفَظْ ما في الوِعاء بشدّ الوكاء، فحُسْن التَّدبير مع الاقتصاد أبْقى لك من الكثير مع الفَساد، والحرْفة مع العِفّة خير من الغِنَى مع الفجور، والمَرْء أحفظُ لسِرّه، ولربما سَعى فيما يَضرُّه.

إياك والاتّكالَ على الأماني، فإنها بضائع النَّوكى، وتثبط عن الآخرة والأولى.

ومن خير حظّ الدنيا القَرين الصالح، فقارنْ أهلَ الخَير تكُن

منهم، وباين أهلَ الشر تَبِنْ عنهم، ولا يَغْلبنَّ عليك سوء الظنّ، فإنه لن يَدعَ بينك وبين خليل صُلْحًا.

أذك قلبك بالأدب كما تذكّى النار الحطب، واعلم أنّ كُفْر النِّعمة لُؤْم، وصُحْبة الأحمق شُؤم، ومن الكَرَم مَنْع الحُرَم، ومَن حَلُم ساد، ومَن تَفَهّم ازداد.

امْحَض أخاك النصيحةَ، حسنةً كانت أو قبيحةً.

لا تَصرم أخاك على ارتياب، ولا تَقْطعه دون استعتاب، وليس جزاء من سرّك أن تَسُوءه.

الرزق رِزْقان: رِزْق تَطْلبه ورِزْق يَطلبك، فإن لم تأته أتاك.

واعلم يا بُني أن مالَك من دُنياك إلا ما أصلحت به من مَثْواك، فأنْفق من خَيْرك، ولا تَكن خازنًا لِغَيرك، وإن جَزعْت على ما يُفلت من يديك فاجزع على ما لم يَصِل إليك.

ربما أخطأ البصيرُ قَصْدَه، وأبصر الأَعمى رُشْدَه، ولم يَهْلك امرؤ اقتصد، ولم يَفْتقر من زَهد.

مَن ائتمن الزمانَ خانه، ومن تَعظّم عليه أهانه.

رأسُ الدين اليقين، وتمام الإخلاص اجتناب المَعاصي، وخيرُ

المَقال ما صَدّقَته الفِعَال.

سَلْ عن الرَّفيق قبل الطريق، وعن الجار قبل الدّار، واحمل لِصَديقك عليك، واقْبل عُذْر مَن اعتذر إليك، وأخر الشرَّ ما استطعت، فإنك إذا شِئْت تَعجّلته.

لا يكن أخوك على قَطِيعتك أقوَى منك على صِلَته، وعلى الإساءة أقوى منك على الإحسان. لا تُمَلّكن المرأة من الأمر ما يُجاوز نفسها، فإنَّ المرأة رَيْحانة، وليست بِقَهْرمانة، فإنَّ ذلك أدومُ لحالها، وأرخَى لبالها.

واغضُض بصرَها بِسترْك، واكفُفْها بحجابك، وأكرم الذين بهم تَصُول، وإذا تطاولتَ بهم تَطُول.

اسأل الله أن يُلْهمك الشكر والرَّشد، ويُقَوِّيك على العمل بكل خَيْر، ويَصرف عنك كل مَحْذور برحمته، والسلامُ عليك ورحمة الله وبركاته(١).

مواعظ الحكماء

قال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: أُوصيكمِ بخَمس لو ضرَبتم

(١) انظر: العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي ص٣٤٥.

عليها آباط الإبل لكان قليلًا: لا يَرْجُوَن أحدكم إلا ربّه، ولا يخافنَّ إلا ذنبه، ولا يستحي إذا سُئل عما لا يَعلم أن يقول: لا أعلم.

وإذا لم يعلم الشيء أن يتعلّمه، واعلموا أن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فإذا قُطع الرأس ذهب الجسد.

وقال أيضًا: من أراد الغِنَى بغير مال، والكثرةَ بلا عَشيرة، فليتحوَّل من ذُلِّ المَعصية إلى عزِّ الطاعة أبى الله إلا أن يُذِلّ مَن عصاه.

وقال الحسنُ: مَن خاف الله أخاف الله منه كل شيء، ومن خاف الناسَ أخافه الله من كل شيء.

وقال بعضُهم: من عَمِلَ لآخرته كَفَاه الله أمرَ دنياه، ومن أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس، ومَن أخلص سريرتَه أخلص الله علانيَته.

قال العُتْبيّ: اجتمعت العربُ والعجم على أربع كلمات: قالوا: لا تَحْملنّ على قلبك مالا يُطِيق، ولا تعملنَّ عملًا ليس لك فيه مَنْفعة، ولا تَثِقْ بامرأة، ولا تغتر بمال وإن كثُر.

وقال أبو بكر الصدِّيق لعُمَر بن الخطّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عند مَوته حين استخلَفه: أُوصيك بتقوى الله، إن للّه عملًا بالليل لا يَقْبَلُه بالنهار،

وعملا بالنهار لا يَقْبَله بالليل، وإنه لا يقبل نافلة حتى تُؤَدَّى الفرائض، وإنما ثَقُلَتْ موازين مَن ثقُلت موازينهم يومَ القيامة باتباعهم الحقّ وثقَلِه عليهم، وحُقّ لميزانٍ لا يُوضعُ فيه إلا الحقُّ أن يكون ثقيلا، وإنما خَفّت موازينُ من خَفّت موازينهم يومَ القيامة باتباعهم الباطل في الدُّنيا وخِفّته عليهم، وحُقَّ لميزان لا يوضع فيه إلا الباطل أن يكون خفيفًا، وإن الله ذَكَر أهلَ الجنَّة فَذكَرهم بأحسن أعمالهم، وتجاوَزَ عن سيئاتهم؛ فإذا سمعتَ بهم قُلْت: إني أخاف ألا أكون من هؤلاء؛ وذكرَ أهل النار بأقبح أعمالهم، وأمسك عن حَسَناتهم، فإذا سمعتَ بهم قلتَ: أنا خيرٌ من هؤلاء. وذكر آية الرّحمة مع آية العذاب ليكونَ العبدُ راغبًا راهبًا لا يتمنى على الله غيرَ الحق، فإذا حفظت وصيَّتي فلا يكون غائبٌ أحبَّ إليك من الموت، وهو آتيك، وإن ضيّعْت وصيَّتي فلا يكونَّنَ غائبٌ أكرَه إليك من الموت، ولن تُعْجزه(١).

وصلِّ الله على نبينا محمد وعلى اله وصحبه وسلم.

---

(١) انظر: العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي ص٣٤٥.

حكم الاحتفال بعيد الأم

*** سُئل سماحة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين [رقم الفتوى: ٩٨٩]:**

نحن في كل سنة يقام عندنا عيد خاص يسمى (عيد الأم) وهو في (٢١ مارس) فيحتفل فيه جميع الناس؛ فهل هذا حلال أو حرام؟ وعلينا الاحتفال به وتقديم الهدايا، أم لا ؟

الجواب:

إن كل الأعياد التي تخالف الأعياد الشرعية: كلها أعياد بدع حادثة ما كانت معروفة في عهد السلف الصالح، وربما يكون منشؤها من غير المسلمين أيضًا، فيكون فيها مع البدعة مشابهة أعداء الله سبحانه وتعالى، والأعياد الشرعية معروفة عند أهل الإسلام: وهي عيد الفطر وعيد الأضحى وعيد الأسبوع (يقصد يوم الجمعة) وليس في الإسلام أعياد سوى هذه الأعياد الثلاثة. وكل أعياد أحدثت سوى ذلك فإنها مردودة على محدثيها، وباطلة في شريعة الله سبحانه وتعالى، لقول النبي ﷺ: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا**

هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ»[1]. أي: مردود عليه غير مقبول عند الله، وفي لفظ: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا** فَهُوَ رَدٌّ». وإذا تبين ذلك فإنه لا يجوز في العيد الذي ذكرت السائلة- والتي سمته عيد الأم - لا يجوز فيه إحداث شيء من شعائر العيد، كإظهار الفرح والسرور وتقديم الهدايا وما أشبه ذلك.

*** سؤال للجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، عن الاحتفال بعيد الأم، الفتوى رقم (٧٩١٢):**

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه، وبعدُ:

لا يجوز الاحتفال بما يسمى عيد الأم ولا نحوه من الأعياد المبتدعة؛ لقول النبي ﷺ: «**من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد**» وليس الاحتفال بعيد الأم من عمله ﷺ، ولا من عمل أصحابه رضي الله عنهم، ولا من عمل سلف الأمة، وإنما هو بدعة وتشبه بالكفار.

---

(١) أخرجه البخاري كتاب بدء الوحى من حديث عائشة رضى الله عنها (٣-١٤٢)، وأخرجه مسلم.

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم(١).

سُئل فضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله عن حكم الاحتفال بالموالد النبوية وغيرها.

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه.

أما بعد: فقد تكرر السؤال من كثير عن حكم الاحتفال بمولد النبي ﷺ، والقيام له في أثناء ذلك، وإلقاء السلام عليه، وغير ذلك مما يفعل في الموالد.

والجواب أن يقال: لا يجوز الاحتفال بمولد الرسول ﷺ ولا غيره؛ لأن ذلك من البدع المحدثة في الدين؛ لأن الرسول ﷺ لم يفعله، ولا خلفاؤه الراشدون، ولا غيرهم من الصحابة رضوان الله عليهم، ولا التابعون لهم بإحسان في القرون المفضلة، وهم أعلم الناس بالسنة، وأكمل حبا لرسول الله ﷺ ومتابعة لشرعه ممن

---

(١) انظر: مجلة البحوث الإسلامية (٣٨/ ٩٤).

بعدهم، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»(١) أي: مردود عليه، وقال في حديث آخر: «...**فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»(٢).

ففي هذين الحديثين تحذير شديد من إحداث البدع، والعمل بها، وقد قال سبحانه وتعالى في كتابه المبين: ﴿**وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟**﴾[الحشر: ٧]، وقال عز وجل: ﴿**فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾[النور: ٦٣]، وقال سبحانه ﴿**لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا**﴾[الأحزاب:٢١]، وقال تعالى: ﴿**وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ**

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه أحمد فى مسنده من حديث العرباض بن سارية ٤-١٢٦ وقال شعيب الأرناؤط : حديث صحيح ورجاله ثقات.

وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾[التوبة:١٠٠].

وقال تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[سورة المائدة:٣] .

والآيات في هذا المعنى كثيرة .

وإحداث مثل هذه الموالد يفهم منه أن الله سبحانه لم يكمل الدين لهذه الأمة، وأن الرسول عليه الصلاة والسلام لم يبلغ ما ينبغي للأمة أن تعمل به، حتى جاء هؤلاء المتأخرون فأحدثوا في شرع الله ما لم يأذن به، زاعمين أن ذلك مما يقربهم إلى الله، وهذا بلا شك فيه خطر عظيم، واعتراض على الله سبحانه وعلى رسوله ﷺ، والله سبحانه قد أكمل لعباده الدين، وأتم عليهم النعمة.

والرسول ﷺ قد بلغ البلاغ المبين، ولم يترك طريقا يوصل إلى الجنة، ويباعد من النار إلا بينه للأمة، كما ثبت في الحديث الصحيح عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما بَعث الله من نبيٍّ إلَّا كان حقًّا عليه أن يدلَّ أُمَّتَه على خير ما يعلمه**

لهم، ويُنْذِرهم شرّ ما يعلمه لهم»(١).

ومعلوم أن نبينا ﷺ هو أفضل الأنبياء وخاتمهم، وأكملهم بلاغًا ونصحًا، فلو كان الاحتفال بالموالد من الدين الذي يرضاه الله سبحانه لبيَّنه الرسول ﷺ للأمة، أو فعله في حياته، أو فعله أصحابه رضي الله عنهم، فلما لم يقع شيء من ذلك علم أنه ليس من الإسلام في شيء، بل هو من المحدثات التي حذر الرسول ﷺ منها أمته، كما تقدم ذكر ذلك في الحديثين السابقين وقد جاء في معناهما أحاديث أخر، مثل قوله ﷺ في خطبة الجمعة: « **أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ** »(٢). والآيات والأحاديث في هذا الباب كثيرة، وقد صرح جماعة من العلماء بإنكار الموالد والتحذير منها، عملا بالأدلة المذكورة وغيرها، وخالف بعض المتأخرين فأجازها إذا لم تشتمل على شيء من المنكرات، كالغلو في رسول الله ﷺ، وكاختلاط النساء بالرجال، واستعمال آلات

(١) أخرجه مسلم رقم ١٨٤٤.
(٢) أخرجه مسلم رقم ٢٠٤٣ ج٣ ص١١.

الملاهي، وغير ذلك مما ينكره الشرع المطهر، وظنوا أنها من البدع الحسنة.

والقاعدة الشرعية: رد ما تنازع فيه الناس إلى كتاب الله وسنة رسوله محمد ﷺ، كما قال الله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٞ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء:٥٩]. وقال تعالى: ﴿ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٖ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [الشوري:١٠].

وقد رددنا هذه المسألة وهي: الاحتفال بالموالد إلى كتاب الله سبحانه، فوجدناه يأمرنا باتباع الرسول ﷺ فيما جاء به، ويحذرنا عما نهى عنه، ويخبرنا بأن الله سبحانه قد أكمل لهذه الأمة دينها، وليس هذا الاحتفال مما جاء به الرسول ﷺ، فيكون ليس من الدين الذي أكمله الله لنا، وأمرنا باتباع الرسول فيه.

وقد رددنا ذلك- أيضا- إلى سنة الرسول ﷺ فلم نجد فيها أنه فعله، ولا أمر به، ولا فعله أصحابه رضي الله عنهم، فعلمنا بذلك أنه ليس من الدين، بل هو من البدع المحدثة، ومن التشبه بأهل

الكتاب من اليهود والنصارى في أعيادهم، وبذلك يتضح لكل من له أدنى بصيرة ورغبة في الحق، وإنصاف في طلبه أن الاحتفال بالموالد ليس من دين الإسلام، بل هو من البدع المحدثات، التي أمر الله سبحانه ورسوله ﷺ بتركها والحذر منها، ولا ينبغي للعاقل أن يغتر بكثرة من يفعله من الناس في سائر الأقطار، فإن الحق لا يعرف بكثرة الفاعلين، وإنما يعرف بالأدلة الشرعية، كما قال تعالى عن اليهود والنصارى: ﴿ وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [البقرة: ١١١] . وقال تعالى: ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [الأنعام:١١٦].

ثم إن غالب هذه الاحتفالات بالموالد- مع كونها بدعة- لا تخلو من اشتمالها على منكرات أخرى، كاختلاط النساء بالرجال، واستعمال الأغاني والمعازف، وشرب المسكرات والمخدرات، وغير ذلك من الشرور، وقد يقع فيها ما هو أعظم من ذلك، وهو الشرك الأكبر، وذلك بالغلو في رسول الله ﷺ أو غيره من الأولياء ودعائه والاستغاثة به، وطلبه المدد، واعتقاد أنه يعلم الغيب، ونحو

ذلك من الأمور الكفرية التي يتعاطاها الكثير من الناس حين احتفالهم بمولد النبي ﷺ وغيره ممن يسمونهم بالأولياء، وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**وَإِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ قِبْلَكُمُ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ**»(١).

وقال عليه الصلاة والسلام: «**لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ فَقُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُه**»(٢).

ومن العجائب والغرائب أن الكثير من الناس ينشط ويجتهد في حضور هذه الاحتفالات المبتدعة، ويدافع عنها، ويتخلف عما أوجب الله عليه من حضور الجمع والجماعات، ولا يرفع بذلك رأسًا، ولا يرى أنه أتى منكرًا عظيمًا، ولا شك أن ذلك من ضعف الإيمان وقلة البصيرة، وكثرة ما ران على القلوب من صنوف الذنوب والمعاصي، نسأل الله العافية لنا ولسائر المسلمين.

ومن ذلك: أن بعضهم يظن أن رسول الله ﷺ يحضر المولد، ولهذا يقومون له محيِّين ومرحبين، وهذا من أعظم الباطل، وأقبح

---

(١) أخرجه النسائي ٤-١٧٨ وصححه الألباني.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ج٤-٢٠٤، من حديث عمر رضي الله عنه.

الجهل، فإن الرسول ﷺ لا يخرج من قبره قبل يوم القيامة، ولا يتصل بأحد من الناس، ولا يحضر اجتماعهم، بل هو مقيم في قبره إلى يوم القيامة، وروحه في أعلى عليين عند ربه في دار الكرامة، كما قال الله تعالى في سورة المؤمنين: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ۝١٥ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴾[المؤمنون: ١٥-١٦].

وقال النبي ﷺ: «**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر يوم القيامة، وأنا أول شافع وأول مشفع**»(١) عليه من ربه أفضل الصلاة والسلام، فهذه الآية الكريمة، والحديث الشريف، وما جاء في معناهما من الآيات والأحاديث، كلها تدل على أن النبي ﷺ وغيره من الأموات إنما يخرجون من قبورهم يوم القيامة، وهذا أمر مجمع عليه بين علماء المسلمين ليس فيه نزاع بينهم، فينبغي لكل مسلم التنبه لهذه الأمور، والحذر مما أحدثه الجهال وأشباههم من البدع والخرافات التي ما أنزل الله بها من سلطان، والله المستعان، وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا به(٢).

---

(١) أخرجه مسلم (٢٢٧٨) عن أنس رضي الله عنه.

(٢) انظر: أرشيف ملتقى أهل الحديث - ١ (٢٤/ ٤٥٣)

الخاتمة

نسأل الله حسنها، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، فيأيها الآباء والأمهات أفيقوا، فإن كنتم مشغولين بجمع الثروات أليس أبناؤكم وبناتكم ثروة؟ تابعوا أولادكم وراقبوهم في البيت وخارجه، وتعرفوا على أصدقائهم وضيوفهم وأبعدوهم عن قرناء السوء، قال ﷺ: «**المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل**»(١). واحذروا الغفلة عنهم، وتركهم للخادمة قال ﷺ: «**كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ** يقوت»(٢).

ولا تتركوا أيها الآباء بيوتكم حتى لا يضيع أبناؤكم وبناتكم، وحذروا نساءكم من عاقبة الخروج من البيت كثيرًا ورعاية الخادمة لهم، فإن غياب الآباء والأمهات عن منزل الأسرة مفسدة أي مفسدة.

والواجب الحذر والسهر على حماية أجيالنا وأبنائنا وبناتنا

---

(١) أخرجه أحمد فى مسنده من حديث أبي هريرة بإسناد جيد٢-٣٣٤.

(٢) أخرجه الحاكم فى المستدرك كتاب الزكاة ص٥٧٥، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

وأغلى كنوزنا حتى لا تخطفهم فتن الشهوات ولا فتن الشبهات وهي أشد وأنكى، والله المستعان، وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا به. واجعلنا اللهم ممن قيل فيهم: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ قُلْ مَا يَعْبَؤُاْ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ۖ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴾ [الفرقان: ٧٥- ٧٧].

اللهم اجعل هذا العمل خالصًا لوجهك الكريم، وصوابًا على سنَّة نبيك محمد صلى الله عليه وآله وسلم...

اللهم وفقنا لتربية أبنائنا على الوجه الذي يرضيك عنا، وأعنا على ذلك، ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، واجعلنا من الراشدين، ووفقنا لخير الدعاء وأعطنا أكثر مما سألناك. آمين.

وصلِّ الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

* * *

فهرس الكتاب

الموضوع **الصفحة**

* * *

شكر وتقدير

وفي النهاية لا يسعني إلَّا أن أشكر اللَّه تبارك وتعالى على ما أنعم به عليَّ من الوقت والصحة، ووفقني حتى تمكنت من إكمال هذا العمل المتواضع، ثم أشكر الأخ الشيخ/ سيد بن عباس الجليمي، صاحب **دار السنة الصحيحة**، على مراجعته الدقيقة، وتصحيحه لكل الأخطاء الواردة في هذا العمل، وأشكر الأخوة الأفاضل الذين شاركوا في طباعته وتجهيزه وأخرجوه بهذا الشكل اللائق، ولا يفوتني أن أسجل شكري لصاحبة عنوان الموضوع وهي ابنتي: سلسبيل، وآية، جزاهما اللَّه خيرًا.

هذا وإن كان من خطأ أو تقصير فمني ومن الشيطان، واللَّه منه براء، وإن كان من توفيق فمن اللَّه عز وجل، واللَّه أسأل أن يوفقني لخدمة كتابه وسنة رسوله ﷺ، ويجعل عملي هذا خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفعنا به في الآخرة، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وآخر دعوانا أن الحمد للَّه رب العالمين.

وصلِّ اللَّه على نبينا محمدًا، وآله وصحبه أجمعين.